



طَلَقَةُ تَنْوِيرٍ

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

مشكلتنا مع الرسوم المسيئة وفرنسا جزءٌ صغيرٌ من كلِّ كبير

كريمة الروبي

أثارت الرسومات المسيئة للنبي محمد (ص) في فرنسا مشاعر المسلمين في كل أنحاء العالم، وبدأت معها حملات التنديد تنتشر على نطاق واسع تحت شعار "إلا رسول الله" وكذلك دعوات لمقاطعة فرنسا، ولنا هنا عدة ملاحظات على تلك الحملة:

أولاً: اختيار شعار الحملة "إلا رسول الله"، وليس مثلاً "نصرة لرسول الله"، هل يعني أننا يمكن أن نتسامح في أي شيء إلا ما يمس رسول الله؟ هل نقبل بانتهاك حرماننا ومقدساتنا والتنازل عن حقوقنا بدعوى القبول بالأمر الواقع؟ هل نرضى بأن يموت الملايين من الجوع في الوقت الذي يعاني فيه من يمضون دماءهم من السمنة؟ هل نرى ونشارك في شراء الذمم وأصوات الناخبين بالمال والوصول لكراسي البرلمان بالرشاوى والوعود الكاذبة؟ أم نشارك في تقسيم الدول وقتل وتشريد مواطنيها وقصف المستشفيات والمدارس واغتصاب النساء وقطع الرؤوس؟ هل نقبل ونتسامح مع كل ذلك وأكثر ولكننا لا نتسامح مع نشر كاريكاتير مسيء لرسول الله؟ وهل يرضي ذلك رسول الله؟

إن رفض مثل تلك الرسوم هو أمر ضروري ولكن نصرة رسول الله تكون في المقام الأول باتباع نهجه وتعاليمه الداعية للحق والعدل والمساواة ومقاومة الظلم والعدوان مهما اختلفت موازين القوى لصالح الظلم، فهو (ص) المنتصر بجيشه ذي الـ 300 مقاتل على قوى الشر ذات الـ 1000 مقاتل في موقعة بدر، فضرب لنا مثلاً في التصدي للشر مهما كان فارق الإمكانات ولم يرض بمنطق الرضوخ للأمر الواقع الذي تقرضه موازين القوى، ولكن تلك القيم غابت عنا عمداً وأصبح المتأسي برسول الله والمقاوم للظلم هو محض متهور يلقي بنفسه ومن معه للتهلكة، أصحاب تلك النظرة الانهزامية هم أنفسهم من ينتفضون اليوم انتفاضتهم المزيفة ضد تلك الرسوم المسيئة نصرة لرسول الله وهم أول من خالف تعاليمه ومبادئه ونهجه المقاوم، نعم انتفاضتهم مزيفة فهم لم ينتفضوا غضباً ضد سيل التطبيع المجاني الذي يجتاح الأنظمة العربية ولم يطالبوا بمقاطعة الأمريكي والصهيوني كما يطالبون الآن بمقاطعة الفرنسي؟

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التطبيع محرّم شرعاً بنص قرآني واضح نجده في الآية التاسعة من سورة الممتحنة: «إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» (صدق الله العظيم). أفلا يدعو هذا الغاضبين من الرسومات المسيئة إلى أن يتحركوا ضد التطبيع والمطبعين وأن يطالبوا بمقاطعة المنتجات الصهيونية والمنتجات الداعمة للكيان الصهيوني؟

طلقة تنوير 72: نحو منظور قومي للشأن الراهن

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 تشرين الثاني 2020

- مشكلتنا مع الرسوم المسيئة وفرنسا جزءٌ صغيرٌ من كلِّ كبير/ كريمة الروبي
- المغزى الاستراتيجي للتطبيع: عقيدة المحيط الصهيونية/ إبراهيم حرشاوي
- عبد الناصر/ بشار شخاترة
- في المصطلح والمصطلح القومي العربي/ إبراهيم علوش
- الخطاب الأثري بين التوراة والاستشراق: علم الآثار الفلسطيني/ فارس سعادة
- عن التعليم والدراسة عن بُعد في زمن الكورونا/ نسرين عصام الصغير
- الصفحة الثقافية: ثلاث قصائد عربية خالدة/ طالب جميل

- قصيدة العدد: ابن الشهيد/ بدر شاعر السياب
- رسم للمناضل القومي د. عماد لطفي ملحس (1948-2020) رحمه الله

لمتابعنا انظر:

لمتابعنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:

موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:

arab.nationalist.moderator@gmail.com



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد



ثانياً: فيما يخص دعوات مقاطعة فرنسا، فلا شك في أن فرنسا تستحق أن تتخذ موقفاً جاداً، ولكن من لم يعادِ فرنسا من أجل مشاركتها في تدمير ليبيا وتسلية إرهابيي سورية فضلاً عن تاريخها الاستعماري الدموي الذي تتباهى به فتعرض في متاحفها جماجم شهدائنا، من لم يعاديهما من أجل هذه الأسباب ليس لديه الحق في معاداتها نصره لرسول الله الذي لم يكن ليرضيه أبداً تجاهل جرائمها بهذا الشكل بل والمشاركة فيها، كذلك لم يكن ليرضى بتجاهل معاداة الصهوني والأمريكي.

ثالثاً: الجهات الداعية لمقاطعة البضائع الفرنسية هي نفسها تلك الجهات التي استدعت طائراتها لقتل الشعب الليبي (المسلم بالمناسبة) وهي التي تحالفت مع فرنسا لتسليح مقاتليها لمحاربة الدولة السورية وتدميرها وقتل وتشريد الملايين من أهلها.

رابعاً: تحاول تركيا الركوب على موجة الاستياء العربي والإسلامي من الرسوم المسيئة لتكرس قيادتها للعالم الإسلامي زوراً وبهتاناً، وهذه النقطة لا بد من الالتفات لها، لا سيما أن أطماعها التوسعية باتت واضحة، وأنها لعبت دوراً كبيراً في تدمير أكثر من قطر عربي بالتعاون مع الغرب، ولا ننسى طبعاً أن فرنسا تأمرت مع تركيا لاقتطاع أجزاء من سورية كان منها لواء الإسكندرون عام 1939، ناهيك عن المحافظات الشمالية.

على الجانب الآخر نجد من يدافعون عن فرنسا بدعوى حرية التعبير وأن فرنسا هي بلد الحريات، وهم بالتأكيد مدلسون وكاذبون، فليحاول هؤلاء نشر رسوم أو كتابة مقالات تشكك في "المحرقة" اليهودية وسيرى حرية التعبير على أصولها وهي تسحق تحت أقدام دعاة الحرية، ففرنسا بلد الحريات هي التي اعتقلت (بطلب أمريكي) المناضل العربي اللبناني جورج إبراهيم عبد الله منذ عام 1984، ورغم صدور حكم قضائي بالإفراج عنه في 2013 إلا أن السلطات الفرنسية تتعنت وترفض إطلاق سراحه.

كما أن محاولة هؤلاء إظهار فرنسا بصورة الدولة التي تدافع عن نفسها ضد المتطرفين يتناسون أن فرنسا كانت تمد الجماعات الإرهابية بالسلاح وتفتح أراضيها لاستقبالهم.

أما فكرة المقاطعة ذاتها ألا تحتاج وجود صناعة وطنية يمكن اللجوء إليها في حال حدوث أي موقف يستدعي المقاطعة كورقة ضغط؟ فلنتذكروا إذاً أن من يدعون للمقاطعة الآن هم أنفسهم من هاجموا الصناعات الوطنية وطالبوا بالتخلص منها ووصفوا من أقامها بـ (الفاشل والمتهور) لمجرد تصديدهم للغرب.

إن أكثر ما يسيء للرسول (ص) ورسالته هو سلوك المتطرفين قاطعي الرؤوس رافضي الآخر لمجرد اختلافه معه في الديانة، والذي يسيء للدين بتبني أفكار وتفسيرات دينية لا تمت لصحيح الدين بصلة.

إننا مع الأسف ما زالت لدينا تلك الأزمة في الأولويات مصدرها الجهات التي تحرك الأحداث والتي تتجاوز عن أمور وتطمسها في حين تخرج أخرى للسطح لتصبح (تريند) ينساق خلفه الحمقى من دون تفكير، ولا شك في أن ذلك الصراع الذي يبدو في ظاهره دينياً هو في الأصل صراع سياسي، وكالعادة نحن وقود لهذا الصراع.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

المغزى الاستراتيجي للتطبيع: عقيدة المحيط الصهيونية في مقابل الاندماج القومي العربي

إبراهيم حرشاي



قليلة هي التحليلات والمواقف التي تعالج المغزى الاستراتيجي للمقاربة الصهيونية للسلام والتطبيع. فكثيراً ما يتم اختزال التطبيع بشكل سطحي إلى مرجعية دولية متجسدة في الامتثال للقرارات الدولية أو إلى ما يسمى "المبادرة العربية للسلام". أما في حالات أخرى، فيتم ترويج التطبيع كخطوة في خدمة "الذات" تحت شعار "المصلحة الوطنية أولاً"، من دون أي تعريف جاد لتلك المصلحة الوطنية مما يجعل تموقع أصحاب هذا الشعار مباشرة في خانة المفعول به. وإن طرَحنا نظرياً مفهوم السلام سنجد أن دلالاته السياسية ما هي سوى الانتقال إلى حالة جديدة تدور في فلك المشروع السياسي للطرف أو الأطراف المهيمنة ضمن معادلة معينة، وتصبح بالتالي خطوة "إبرام اتفاقية السلام" باباً مفتوحاً على مصراعيه للعبور إلى مرحلة متقدمة للطرف المهيمن. وفي حالة تطبيق هذه المقاربة على الصراع العربي-الصهيوني، سنلاحظ أن التصور الصهيوني للسلام يتصل اتصالاً ضمناً برؤية تفكيكية شاملة للمنطقة على المدى الطويل، حيث ينطلق هذا التصور من ضرورة طمس

التجانس القائم على الحضارة العربية-الإسلامية واستبداله بأرضية للتعايش المزعوم بين العرب واليهود، أي على أساس تعدد الطوائف والإثنيات القاطنة بالوطن العربي والاعتراف بشرعية حقها في تقرير مصيرها، أي بـ"شرعية الانفصال".

تندرج هذه الرؤية الصهيونية كامتداد للعقيدة الاستراتيجية التي أطلقها بن غوريون، المعروفة باسم "تحالف المحيط أو عقيدة المحيط"، إذ يسعى الكيان الصهيوني من خلال تلك العقيدة إلى تطوير علاقات وثيقة مع أمم إسلامية غير عربية كتركيا وإيران (قبل الثورة الإسلامية) لفك ارتباط الدول العربية بالعمق الإسلامي ومحاصرتها استراتيجياً. أما داخل المحيط العربي فتتجلى هذه العقيدة في مد جسور تطبيعية مع مكونات عرقية وإثنية كالأكراد في شمال العراق والحركة الزنجية في جنوب السودان، ويعتبر الدعم السياسي والعسكري للحركات الكردية طوال العقود الماضية جزءاً أساسياً من هذه الخطة الصهيونية.

لقد أوضح المفكر الصهيوني شلومو أفيري-الذي كان يوماً ما مديراً عاماً لوزارة الخارجية "الإسرائيلية"- مغزى مفهوم "السلام" ضمن الخطة التفكيكية الصهيونية سنة 1976، وكان ذلك خلال مقابلة أجريت معه على إذاعة القدس التابعة للاحتلال يوم 8 آذار في العام ذاته تناول فيها الوضع في المنطقة عامة والحالة اللبنانية آنذاك خاصة. وأفاد بقوله ما يلي: "إن شرط تحقيق السلام في المنطقة يتمثل في الاعتراف بشخصيتها التعددية، ويمكن استخدام النموذج الذي تمثله "إسرائيل" كعامل محرك لجماعات أخرى في المنطقة والتي هي ليست مستعدة لقبول الهيمنة العربية الإسلامية المطلقة عليها". ولهذا المفكر الاستراتيجي الصهيوني مواقف أخرى تصب في الاتجاه ذاته (انظروا مثلاً تحليلاته في مقابلة توجد على موقع يوتيوب تحت عنوان (Shlomo Avineri: The Arab Spring and the Disintegration of the "Middle East" State System)، وفي نفس الاتجاه أيضاً كتب برنارد لويس عن "لبنة" المنطقة (Lebanonization) في مقالة مطولة منشورة في مجلة الفورين أفيرز سنة 1992 تحت عنوان "إعادة التفكير في الشرق الأوسط" ("Rethinking the "Middle East")، ناهيك أيضاً عن مخطط "أويد بينون" لتقسيم المنطقة العربية الإسلامية المنشور سنة 1982 في مجلة كيفونيم التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية.



يُفهم مما سبق أن التصور الصهيوني للاستقرار والسلام في المنطقة يتمثل في إفساح المجال لبروز طوائف دينية وعرقية يمكنها أن تنشئ كيانات مستقلة أو شبه مستقلة في ظل وضع عربي رسمي هش البنية. فالمعنى السياسي "لخطاب السلام" هو العودة إلى الوضعية التي كانت سائدة بالوطن العربي في فترة تحلل الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى، ليتمكن الكيان الصهيوني من الاستقرار والهيمنة في منطقة مجزأة سياسياً ومبنية على عصبية دينية وعنصرية ومناطقية، بينما يصعب عليه التأقلم في فضاء عربي ذي بني اجتماعية-ثقافية متماسكة وقابلة أن تتطور إلى مشروع وحدوي يصبح فيه الوجود الصهيوني في حالة تهديد حقيقي.

إن عدم طرح القضية الفلسطينية في سياقها العربي والإسلامي والعالم ثالثي التحرري، أعطى الفرصة للكيان الصهيوني أن يتوغل في هذه الفضاءات الثلاثة التي تمثل في مجملها من زاوية جيو-سياسية العمق الاستراتيجي للأمة العربية المكشوفة بحكم موقعها الجغرافي لخطر الكتلة الاستعمارية الغربية. فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى العلاقات البينية على الصعيد الاقتصادي بين الكيان الصهيوني ودول اليريكس سنلاحظ ارتفاع وتيرة التبادل التجاري خلال العقود الأخيرة حسب معطيات موقع Trading Economics الذي يوفر إحصائيات عن التجارة الدولية بين بلدان العالم. فبالنسبة للتبادل التجاري بين الصين والكيان الصهيوني وصل الرقم إلى أكثر من 15 مليار دولار في سنة 2018، وتليها روسيا التي تحتل المرتبة الثانية بتبادل يزيد عن خمسة مليارات دولار، تليها الهند التي سجلت في السنة ذاتها تبادلاً تجارياً وصل حجمه إلى أكثر من 4 مليارات دولار. ويلاحظ أن دولاً مثل الصين والهند لم تكن لديها علاقات "مستقرة" مع الكيان الصهيوني حتى حدود الموجة الثانية من التطبيع في بداية تسعينيات القرن الماضي، الأمر الذي جعل دولاً وازنة أخرى غير الصين والهند تطوي صفحة التضامن السياسي مع فلسطين وتختصره في مواقف "ترضي طرفي الصراع" يتم التعبير عنها كلما اقتضت المصلحة والظروف الدولية ذلك. أما بالنسبة للعالم الإسلامي فنرى قفزة نوعية في العلاقات بين تركيا الأطلسية والكيان الصهيوني منذ تولي حزب "العدالة والتنمية" مقاليد السلطة، حيث أصبحت تركيا الأطلسية أكبر مطبع من بين كل الدول الإسلامية مع وصول التبادل التجاري إلى 6.6 مليار دولار في سنة 2018. كما ينبغي التنبيه إلى أن جل الدول التركية المسلمة في وسط آسيا تربطها علاقات رسمية مع الكيان الصهيوني مثل كازاخستان وفيرغيزستان وتاجكستان وتركمانستان وأذربيجان، أي دول مجلس التعاون للدول الناطقة بالتركية (Cooperation Council of Turkic-Speaking States) وهي ليست سوى نمور ورقية مطبوعة ومنسجمة إلى حد بعيد مع استراتيجية الاحتواء لحلف الناتو في آسيا الوسطى.

في نهاية المطاف ينبغي موازاة "مناهضة التطبيع" بمشروع استراتيجي يكون أفضه عربياً وحدوياً وله القدم الأولى في المنطقة، بمعنى طرح الوحدة كنفويض للتقسيم، والتنمية المستقلة كنفويض للتبعية الاقتصادية. وتمثل عقيدة وإرث الأحزاب والحركات القومية العربية في هذا الصدد أبرز مثال لهذا الأفق بحكم انطلاقها من مبدأ يصف الأمة العربية كوحدة ثقافية وقومية لا تتجزأ، مؤكدة بذلك على عروبة فلسطين وسيادة العرب على وطنهم الكبير الذي لهم الحق وحدهم بالتصرف بشؤونهم وثوراتهم. وبالعودة إلى مشروع الاندماج العربي كمرجع ونقطة انطلاق لتعريف طبيعة العلاقة مع الكيان الصهيوني، ولقراءة الوضع العربي المتدهور، سيجعل من "مناهضة التطبيع" عملاً سياسياً منظماً، بل سيخرجه من حيز الحركة الاحتجاجية الراضية والمنددة لذلك المطبع أو لتلك الهرولة التطبيعية ويدخله إلى معترك المواجهة الاستراتيجية الشاملة مع الصهاينة من باب مشروع سياسي متكامل.

عبد الناصر

بشار شخاترة

مرت الشهر الفائت الذكرى الخمسون لرحيل الزعيم جمال عبد الناصر، وللحق أن لقب الزعامة لا يفي عبد الناصر حقه، لأن عبد الناصر لم يكن يشكل زعامة فقط، لأن الزعامة بحد ذاتها صفة ملازمة للوجود المادي للإنسان أي طالما بقي حياً، وإذا توفي فإن الزعامة لم تجد من يمارسها، فبعد الناصر عُنُون مرحلة تاريخية في سجل الخالدين، كان عبد الناصر كتاباً في ذلك السجل اتسمت مرحلة مهمة من التاريخ العربي بسماته، وأهم ما في شخصيته الخالدة والمرحلية أنه جسّد بذاته منهجاً بقي حياً حتى اليوم وبقي له مناصروه كما بقي له أعداؤه، لهذا فإن كان غاب صاحب هذا المنهج النضالي فإن منهجه مستمر في كل يوم وساعة، فالحاضر الدائم منذ رحل عبد الناصر هو غيابُه وينطبق على حالة أمتنا العربية بفقدته قول الشاعر: "وفي الليلة الظلماء يفقد البدر".



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد



يعيننا أن نشير في هذا المقام إلى أن الكتابة عن عبد الناصر ليست من باب اجترار السير أو ذكر المناقب، فهذا الجانب بالتأكيد مهم لكنه ليس موضوعنا هنا، فبعد الناصر كله واحد لا يقبل القسمة أو التأويل أو التجبير، من هنا ننطلق لنضيء على الحالة المنهجية لعبد الناصر، منوهين إلى الإسقاطات التي لحقت به بعد رحيله سواء ممن تبنا خطه أو ممن ناصبوه العداوة.

لم يترك عبد الناصر خلفه تنظيمًا سياسياً، وهي من النقاط التي تؤخذ على تجربته في الحكم والسياسة، وإن كان قد بدأ مشروع التنظيم الطليعي إلا أن ظروف هزيمة حرب حزيران أرخت بظلالها على مجمل العمل القومي، وانخرطه في إعادة بناء الجيش والمبادرة إلى حرب الاستنزاف، حيث كانت تجربة التنظيم الطليعي مباشرة بولادة تنظيم قومي لكنه كان على أساس مختلف تماماً عن تجربة الأحزاب الناصرية، فبينما كان ذلك التنظيم ينطلق من أسس قومية ويعمل وفق منهجية ارتكزت إلى أساس تأطير التجربة الناصرية في تنظيم قومي، وذلك من حيث أدرك عبد الناصر ضرورة تنظيم الشباب العرب من المحيط إلى الخليج في تنظيم قومي يجمع بين التثقيف والتدريب لخلق طليعة قومية تخوض معارك الأمة بعد دراسة تجارب مهمة كتحرير الجزائر

أو حركات التحرر العالمية، فالنضال العربي يحتاج أطراً غير الجيوش وقاعدة نضالية غير تقليدية نظراً لطبيعة التحديات، كما أن حماية الثورة العربية عموماً تقتضي وجود التنظيم الطليعي العربي الذي يتجاوز حدود الإقليم المصري، أما التجربة اللاحقة لكثير من التنظيمات التي تبنيت عبد الناصر، فقد كان غطاءً سياسياً ومن دون إدراك لحقيقة التجربة الناصرية ومنهجية عبد الناصر الذي من المتعذر حشره في إطار تنظيمي، خصوصاً أن الممارسة الفعلية لكثير من التنظيمات الناصرية برزت على شكل عصبية لشخصه من دون استلهاً للمنهج الذي حرص على التمسك به طيلة حياته.

ومن السقطات والتي يجري إسقاطها على أنها من ضمن المنهجية الناصرية في تصوراتها للحكم على تفاصيل الشأن القومي هو تبني الديمقراطية الزائفة والتي تستند إلى مفهوم ليبرالي للديمقراطية، ولهذا كان هناك سقوط مدو لكثير من الأجنحة الناصرية مع انطلاقة «الربيع العربي»، حيث فقدت تلك التنظيمات بوصلتها العربية والقومية وثبت أنها لم تفهم عبد الناصر ولا تعلم حقيقة منهجية عبد الناصر القومية، الذي تبنى الديمقراطية بشكل مغاير للمفهوم الليبرالي، تمثل على المستوى الداخلي بحق كل مواطن في العمل والحصول على التعليم والصحة والسكن، وعلى المستوى الخارجي تمثل في حرية الوطن في أن يمتلك قراره المستقل من دون الخضوع للإملاءات الأجنبية، من هنا سقط كثير من (الناصريين) في متاهة اليتيم لأنهم لم يروا في عبد الناصر إلا تلك الصورة للقائد والزعيم والتعصب له من دون إدراك مضامين تجربته القومية والنضالية، أو لأنهم تغطوا بعبد الناصر لستر حقائقهم التي تكشفت، فبعد الناصر كشخص ومنهج لا يمكن إلا أن يصطف في خندق سورية واليمن وليبيا والعراق، ولا يمكن أن يكون في خندق ثورات هنري أيفي مهما كانت شعاراتها ومظلماتها، لأن تلك «الثورات» قامت ببساطة على أنظمة قومية تقف في خندق المواجهة ضد الإمبريالية الأمريكية، وهذا هو خندق عبد الناصر الحقيقي.

أما أن يجري تأويل عبد الناصر ومنهجه وتجربته ومرحلته ضمن سياق ليبرالي وانتخابات وبرلمانات وحرية في التصويت وحرية في التعبير فإنه ولا شك ليس لها تسمية إلا ناصرية مضادة، وليس ذلك لأن عبد الناصر كان عدواً للحرية والديمقراطية، بل لأنه في سياق هذا المفهوم لديه كان يتقدم فيه العامل والفلاح والطالب والفقير والمرأة والجندي كطبقة اجتماعية تستحق العيش بكرامة وتعبير عن نفسها في مصانعها وحقولها وفي ميادين المعركة بالصورة الأمثل لا مجرد أشخاص جالسين على مقاعد البرلمان يقضون فترات القيلولة ومن ثم ينصرفون إلى بيوتهم، كان قانون



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

الإصلاح الزراعي عملاً ديمقراطياً بامتياز لأنه أعطى الأغلبية حقها في امتلاك قوة عملها وأمنها على لقمة عيشها من دون أن تبقى خاضعة لابتزاز الإقطاع، كان ديمقراطياً لأنه انصاع لقرار الشارع "تريد الحرب" ولأنه قَبِل النقد وتحمل المسؤولية الكاملة وصحح الخطأ بإبعاد عامر وعصابته عن الجيش ووضعه بأيدٍ أمينة محترفة، حينما وضع الجيش على خطى التقدم، كان ديمقراطياً لأنه تحمل النتيجة وغادر إلى بيته لتعيده الجماهير بقولها نعطيك الفرصة ونجدد البيعة على قاعدة المواجهة مع العدو وتحرير الأرض، عبد الناصر كان ديمقراطياً لأنه كان يسمع صوت الشعب ولأن الشعب كلما أراد أن يسمع صوته كان يخرج عن بكرة أبيه، مقابل مجلس الشعب الغارق في نومه.

ولعل من الخطايا التي تمارس بحق عبد الناصر هو تجاذب إرثه من لدن جهات تتجاوز التنظيمات الناصرية التي تحدثنا عنها، إلى شخصيات تتنافى مواقفها السياسية والإيديولوجية مع عبد الناصر، فلا يمكن أن ينظر لعبد الناصر من كان عضواً في الكنيست الصهيوني مثلاً، ولعل من جملة الخطايا والتي شكلت اختراقاً لإرثه ومنهجه تبني مؤسسات كالمؤتمر القومي العربي مثلاً لعزمي بشارة (قبل "الربيع العربي") والذي أخذ كرسي عبد الناصر ضمن انفلاش تلك المؤسسة آنذاك عبر قنوات عزمي بشارة، والذي أصبح منظر قناة "الجزيرة" القطرية الناطق باسم حركة الإخوان المسلمين، عندها ماذا نتوقع أن يبقى من تجربة عبد الناصر ونهجه القومي؟! لهذا لا يمكننا أخذ كل هذا التبني لعبد الناصر هنا وهناك من دون الظن، وليس الظن الأثم إنما ظن حسن الفطن، لأن ما يجري من طرح الناصرية هنا وهناك عبر الإعلام يندرج قطعاً في سياق التوظيف الإعلامي والسياسي وحتى المذهبي أحياناً.

في قصة ممدوح عدوان عن سيرة الزير سالم والتي أنتجت كمسلسل تلفزيوني، تأتي القصة على واقعة علم الزير بمقتل أخيه كليب لينفجر الزير بالضحك مردداً: (وهل كليب كله مات)، تلك العبارة التي تستوقف المشاهد تعكس رؤى ممدوح عدوان عن كليب صاحب المشروع الذي كان يحلم بإقامة دولة على شاكلة دول العصر الذي عاش فيه وكيف السبيل إلى توطين القبائل وتطويعها لتقبل حياة الحضرة، ممدوح عدوان كان يطرح جدلية الدولة والمدينة من جهة والقبيلة والرعي والتنقل من جهة أخرى، فصاحب هذا الحلم الكبير والمشروع الخارق لقوانين الصحراء والمتحدي لموروثها كان ينظر الزير وغيره كبيراً لدرجة أنه لا يمكن كله أن يموت لأن المشاريع الشاملة لا تموت، المقاربة هنا أن عبد الناصر المشروع الذي يتحدى الوعي التفكيكي والانفلاش القبلي والردة إلى العصبية مقابل الهوية العربية الجامعة كان صعباً على كثير ممن تبناه أن يدركوا أن عبد الناصر كله لم يمت فمشروعه حي، ولكنهم في الممارسة فعلوا كما فعل الزير بدل أن يكمل مشروع كليب ارتد على عقبه وانخرط في محرقة الثأر، هكذا حال كثير من الناصريين، تعصبوا له حتى أضحي قديساً ولكنهم لم يأخذوا شيئاً من المشروع.

من لم يدرك لماذا خاض عبد الناصر حرب اليمن لن يفهم الاستراتيجية والجغرافية السياسية، فممر باب المنذب نافذة مصر إلى جنوب العالم وممر للسويس، ولا يفهم دروس التاريخ، فالأحباش والفرس أتوا إلى اليمن وعينهم على مصر ولكن من باب بعيد، فتأمين صنعاء لا يقل أهمية عن الدفاع وتأمين القاهرة، ومن الخطورة أن يكون هناك قوة في اليمن لا تتفق مع مصر أو أنها تتفق مع نظام آل سعود، لهذا فإن تأويل عبد الناصر عبر إسقاطات إعلامية معاصرة تذهب بعيد الناصر مذهباً طائفياً أو قبلياً أو مناطقياً لا تستقيم ولا تقوى على الصمود، كما أنه لن يكون في خندق السعودية.

إن الفضاء الإعلامي الذي يبجل عبد الناصر قد يكون أساء إلى تجربته ونهجه أكثر مما أساء له خصومه وأعداؤه، لأن الأعداء مهما حاولوا فإنهم مكشوفو الوجه، أما أولئك الذين يتبنونه فكثير من علامات الاستفهام تلف من حول غاياتهم، فتكريس صورة نمطية لعبد الناصر المناضل والثائر والمناهض للإمبريالية شيء جميل لكنه من الخطورة بمكان أن يوظف في سياق أن العرب "خانوا" هذا النهج والإرث الناصري، عندها يغدو عبد الناصر إرثاً رائعاً عالمياً أممياً مشرقياً إسلامياً لكنهم سيفقدونه ثوبه الحقيقي أنه عاش ومات قومياً عربياً جذرياً برغم من أنه ينطبق عليه كل الانتماءات المذكورة إلا أنها تبقى ثانوية ليست الأصل، من هنا لكي لا يسرق عبد الناصر من جماهير الأمة يجب ألا نتوانى عن تأكيد جوهر ناصر العروبي وحتى لا تضيع القدوة والنموذج وحتى يبقى المشروع حاضراً حياً ولكي لا يأتي علينا حين من الدهر نسال فيه: هل فعلاً عبد الناصر كله مات؟

لقد كان ناصر مالى الدنيا وشاغل البشر وما يزال، لأن المشاريع العظيمة والنبيلة لا تموت، ولأنه تبوأ عرش أم الدنيا فقد أعطاهم وأخذ منها وفهم مصر وفهمته فكبر بها وكبرت به وسطع بهما نجم العروبة، لهذا سيبقى هناك من يناقش عبد الناصر، ويبقى من يريد أن يشوه إرثه ويطمس نهجه.



هناك من يصنف عبد الناصر بأنه كان إخوانياً وانقلب عليهم، وتتسرب مقالةً هنا وبرنامج عبر الفضاء هناك، منشغل بحقيقة انتمائه، ويروج لهذه الرواية من كان إخوانياً فيما سبق أو من بعض من بقي مع الإخوان، ولكن الدليل دائماً ضعيف، مجرد رواية ومواقف لا يبنى عليها، وينسون أنه بالممارسة لم يكن يستهويه العمل الحزبي وقد تأخرت تجربة بناء التنظيم السياسي طويلاً قبل أن تبصر النور، لا بل كانت هناك محاولات فاشلة قبل أن يصل إلى تنظيمه الطبيعي الذي أشرنا إليه في بداية المقال، ولا يُشهد له ملمحٌ إخواني في سياق تجربته قبل الثورة وبعدها، ناهيك عن عبد الناصر العربي الذي صقلته التجربة فكان قومياً بفعل التجربة وصيرورة الصراع الجيوسياسي، وهي بالمناسبة سمة عامة في مصر ومجمل إفريقيا العربية، حيث تمارس الأمة هناك عروبته كخيار فطري وجيوسياسي نظراً لموقعها وتجانس تركيبها السكانية العربية فلا تحتاج الأيديولوجيا كثيراً لتعبر عن عروبته، بينما وبسبب التنوع المذهبي والديني في بنية النسيج العربي في المشرق العربي، وكذلك الاحتكاكات مع الاستعمار التركي، فرضت على العرب المشاركة أدلجة العروبة من باب اتساع وعاء العروبة ليسع الجميع وصهر التناقضات الثانوية تحت عنوان عربي، لهذا مارس عبد الناصر عروبته من دون شبهة إخوانية أو غيرها لأن الممارسة الواقعية أثبتت تناقض مسار الطرفين من خلال مقارنته للغرب وموالاته الإخوان للغرب، وهذه لا يمكن بحال إلا أن تكون في مصلحة عبد الناصر، فكان أدعى أن يقيم أفضل العلاقات مع الغرب بدلاً من صراعه معه ويكون الإخوان كبش المحرقة في تلك العلاقة، لهذا كان عبد الناصر أكبر من أن يكون ضمن بوتقة الإخوان وأبعد عنها، وما هذه الدعايات حول انتمائه لهم تأتي في سياق الحرب على عبد الناصر النهج فهذه دعاية لها حدان وكلاهما مؤذ بحق عبد الناصر ومشروعه، لياتي وبعد زمن سقطت فيه الحدود ولم يعد هناك فرز بين الوطني والقومي وبين العميل، بين المناضل والمقاوم، يعتذر فيه (رأس هرم الناصريين في مصر) حمدين صباحي للإخوان عن (اضطهاد عبد الناصر لهم)، فلا نبالغ بالقول إن عبد الناصر كله يموت بعد أن تحالف الناصريون مع الإخوان.

عبد الناصر جزءٌ من الإرث القومي العربي وتجربته قابلة للنقد ومن واجبنا أن نفهمها لصياغة مشروعنا القومي، ومن المهم أن نركز على أنه صاغ مشروعه وارتقى به وجعل من القومية العربية رقماً صعباً في العالم حينما كان مشروعه في حالة اشتباك مع الإمبريالية وذيولها الرجعية العربية وصراع مسلح مع قاعدة الاستعمار (إسرائيل).

فى المصطلح والمصطلح القومى العربى

إبراهيم علوش

- مدخل إلى مفهوم المصطلح:

تُستخدم المصطلحات، والبعض يرى أن من الأفضل لغوياً تسميتها "اصطلاحات"، ومفردتها "اصطلاح"، بدلاً من "مصطلح"، لتنظيم العلوم والمعارف فى المجالات المختلفة، فكيف ندرس الفيزياء مثلاً من دون مصطلحات مثل "الجاذبية" و"التسارع" و"الكتلة"، وكيف ندرس الرياضيات من دون مصطلحات مثل "الاشتقاق" و"الدالة" و"المتغيرات"، وكيف ندرس علم الاقتصاد من دون مصطلحات مثل "الكلفة الحدية" و"توازن السوق" و"الكتلة النقدية"، وكيف ندرس المنطق من دون مصطلحات مثل "استدلال" و"برهان" و"استنتاج"، إلخ...؟

كذلك تحفل شتى العلوم الطبيعية والاجتماعية بنظريات متصارعة أحياناً تحاول فرض وجودها الأكاديمي عبر ترويج مصطلحاتها فى تفسير الظاهرة التي تدرسها، فمصطلح "فائض القيمة" الماركسي لن تجد له أثراً فى علم الاقتصاد الغربي على سبيل المثال، لأنه يدل على وجود استغلال، وهذا مرفوض غربياً، ومصطلح "نظرية التبعية" لن تجد له أثراً، إلا فى أقسام علم السياسية ربما، أي ليس فى أقسام علم الاقتصاد، عند دراسة مسألة التنمية فى النظريات الغربية، ومصطلح "النشوء والارتقاء"، الذي استل من نظرية لداروين بالاسم ذاته، يسود فى علم الأحياء، لكنه يثير خلافات سياسية ضارية مع أنصار اليمين المسيحي فى الغرب الذين يعتبرونه نوعاً من "الكفر"، وبالتالي يحاولون منع تدريس تلك النظرية فى المناهج!

لكن حتى لو وجدّت نظريةً أو مدرسة فكرية لا يتفق معها المرء، فلا بد من اسمٍ ما لها، لإتاحة نقدها ودحضها على الأقل، كما أن تسمية الأشياء والبشر والدول والكواكب والظواهر وكل شيء



باسم ما خاص به هو مقدمة ضرورية للتعرف على العالم، ولفصل الظاهرة موضع الدراسة عن غيرها معرفياً، وهو ما أفهمه مما جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة: وعلم آدم الأسماء كلها.

إذاً لا بد من تأطير الواقع والفكر والعلوم والنظريات بمصطلحات ملائمة لها، وتعبيير اصطلاح بحد ذاته يعني فعلياً "ما اصطلاح أو اتفق على تسميته هكذا" من قبل أصحاب الشأن أو الاختصاص، فبدلاً من العودة إلى ظاهرة أو قانون أو نظرية أو مفهوم ما وشرحه بالتفصيل في كل مرة نحتاج فيها للعودة إليه، يخل المصطلح محل ما اصطلاح عليه لتسهيل الإشارة إليه واستخدامه في الشرح والتحليل والنقد والاستنتاج والاستدلال، فالمصطلح عبارة عن وسم أو بطاقة تعريفية، وثمة نظريات مختلفة في كيفية وضع المصطلحات لن ندخل فيها هنا. وما يهمنا هو أن الأساس بالمصطلحات هو أنها يفترض أن تكون محايدة وعلمية، فلو قلنا "الضغط الجوي" أو "رقم قياسي" أو "تفاعل كيميائي" مثلاً، فإن ذلك قلما يثير مشاعر خاصة سلبية أو إيجابية أو تحيزاً، إلا بالنسبة لعالم أو طالب في مختبر أو خلف حاسوب ربما يعمل على تجربة علمية أو يشتغل بمسألة إحصائية ما، أو عند تناول نظرية علمية خلافية. والعبرة في التطور العلمي في "توحيد المصطلح"

بين أهل الاختصاص، بمعنى أن يكون مُجمَعاً عليه، وأن لا تسمي كل طائفة من العلماء والكتاب الظاهرة أو المفهوم أو المدرسة الفكرية ذاتها باسماء أو مصطلحات مختلفة، ومن هنا أهمية قيام المجامع اللغوية في البلدان العربية بتأليف معاجم توحد ترجمة المصطلح العلمي والتقني المترجم من لغات أجنبية، والطموح أن يكون إنتاج المصطلح العلمي والفكري عربياً أصلاً، لأن توحيد المصطلح يسهل البحث العلمي والتفاعل الأكاديمي.

لكن لو ذهبنا باتجاه مصطلحات مثل "الاستشراق" أو "الإمبريالية" أو "جماعة ضغط" (في النظام السياسي الأمريكي) في العلوم والفكر الاجتماعي والسياسي، فإن حيادية المصطلح ذاتها تصبح مطروحة على بساط البحث وقد تصبح موضع خلاف وشقاق، وبالتالي يصبح توحيد المصطلح مشكلة، فماذا لو تسلسل مصطلح يظهر كأنه "محايد" في السياسة أو الإعلام لوصف شيء أو ظاهرة بطريقة تناقض ما هو عليه فعلاً لخدمة مصلحة جهة ما؟

ذلك هو جوهر المسألة هنا.

ومع أن العلوم الطبيعية تشهد اصطراع نظريات متضاربة لكل منها مصطلحاتها أيضاً، فإن نسبة الشحنة السلبية أو الإيجابية الملتصقة بأي مصطلح تزداد كلما ذهبنا من العلوم الطبيعية إلى العلوم الاجتماعية، ومن العلوم الاجتماعية باتجاه الفكر عموماً والفكر السياسي خصوصاً، وتشهد ساحة الإعلام والشأن السياسي الراهن أشد تزوير وأقوى شد وجذب في حيز المصطلحات، ومن يتمكن من أن يفرض مصطلحاته ومن أن يقصي مصطلحات خصومه عن حيز الحوار العام، ومن يتمكن من أن يصنّف خصومه بمصطلحات ذات شحنات سلبية وأن يصنف ذاته وحلفاءه ومواقفه وسلوكه بمصطلحات ذات شحنة إيجابية، يسيطر على الحوار العام، ويجد سندا لأجندته أو برنامجه في العقول والقلوب، ولو كانت مصالحه مناقضة لمصالح من اخترق عقولهم وأفندتهم بمصطلحاته، حتى لو لم تكن تلك المصطلحات دقيقة أو أمينة في وصف الظواهر التي تسعى لتأطيرها، وهو شكل آخر من الهجمات لطالما استخدم منذ القدم، وبهذا المعنى قيل أن المنتصر هو الذي يكتب التاريخ (ومصطلحاته)، أما في عصر اقتصاد المعرفة والقنوات الفضائية والفضاء الافتراضي، فقد بات تزوير المصطلح وتحريفه معلماً رئيسياً من معالم الصراعات السياسية أكثر من أي مرحلة سابقة في التاريخ.



المصطلحات إذاً، بصفتها ما أجمع أو اتفق عليه لتسمية شيء ما، هي ضرورة لا غنى عنها لدراسة العالم وفهمه، ولكنها قد تصبح في السياسة والإعلام بالذات مدخلاً لحرف زاوية نظر الرأي العام، أو "الشارع"، أو الناس عموماً، باتجاه متحيز لمصلحة من يملك القدرة والإمكانات على الترويج لمصطلحاته دون غيرها وإقصاء مصطلحات غيره، ومن يملك مثل هذه القدرة هو فعلياً من يملك السيطرة على وسائل الإعلام ووسائل إنتاج الثقافة والعلوم، مثل الجامعات الكبرى ومراكز الأبحاث ودور النشر العالمية وغيرها، وهذه الجهة عالمياً هي احتكارات وسائل الإعلام العالمية مثل شركة Alphabet التي تملك محرك بحث "غوغل" وموقع "يوتيوب" وغيرها كثير، والتي كانت أكبر شركة إعلامية في العالم حتى شهر 11 عام 2019، ومثل شركة "والت ديزني"، ومثل شركة "فيسبوك"، ومثل شركة ورنر الأمريكية (التي تسيطر عليها شركة الاتصالات الأمريكية AT&T منذ عام 2018)، وعموماً فإن أكبر عشر شركات إعلامية في العالم ثمان منها أمريكية حتى اليوم، وثمة واحدة ألمانية وأخرى صينية. أما عربياً، فإن رأس المال الخليجي طبعاً هو الذي يسيطر على وسائل الإعلام والثقافة العربية، قناتا "الجزيرة" و"العربية" أنموذجاً.

ومن البديهي أن محرك بحث "غوغل" يتحكم بنوعية نتائج البحث التي تظهر على الشاشة، أو لا تظهر، أو تظهر بمراتب متدنية، وهذا يتضمن، فيما يتضمنه، الترويج لأسماء ومصطلحات دون غيرها بالضرورة. كذلك من المعروف أن "فيسبوك" يعاقب المحتوى المقاوم ويتحيز للمحتوى الصهيوني، ويستخدم في ذلك خوارزميات تتقصى تعابير ومصطلحات وأسماء معينة على الصفحات دون غيرها...

- المصطلحات سياسياً في السياق العربي:

ليست المصطلحات والتعابير السياسية المتداولة في الإعلام السائد عربياً ودولياً شيئاً محايداً أو أكاديمياً. فهي تتضمن تحيزاً مسبقاً غير بادٍ للعين المجردة، وهي تؤسس لقوانين "العبة" وتحاول إلزام من يتناولون قضية ما بوجهة نظر قوى الهيمنة الإعلامية والثقافية التي تُروج لمصطلحات تضع من يقف في طريقها في موقف ضعيف معنويًا وسياسيًا، لذلك كتبت في مستهل كراس "المعركة على جبهة المصطلحات في الصراع العربي-الصهيوني" (2009):

"لعل أحد أهم الأسلحة التي تمتلكها القوى المهيمنة في العلاقات الدولية، أو داخل المجتمعات، هو أدواتها الثقافية والإعلامية التي تمكنها من صناعة المصطلحات وصياغة التعريف. فالمصطلحات والتعريف ليست "مجرد كلام" كما قد يظن البعض، بل نقاط مرجعية تسهم بتحديد قوانين اللعبة السياسية، وقولب يُصَبّ داخلها الرأي العام، وهي على المدى البعيد، إذا تُركت تعمل من دون خطاب بديل، ذات تأثير تراكمي يخترق الوعي الجمعي العربي ويفجره من الداخل، وينشئ قطاعات شعبية وثقافية عربية تقف الهوية والانتماء وتحول إلى موالاة الصهيونية من خلال منظومة من القيم والمفاهيم التي تشكل ما يُعرف باسم الوعي الزائف، أي الوعي الذي يؤسس لطريقة في النظر إلى الواقع تنماشى مع الاحتلال والقهر الذي فرض على أمتنا لتبرره وتصبح عقبة في طريق التخلص منه".

على سبيل المثال، قد يبدو تعبير "العمل من أجل تحقيق الأمن والاستقرار" شيئاً إيجابياً ومرغوباً، إذ من هو العاقل السوي الذي يرفض الأمن والاستقرار؟! لكن عندما يُطلق مثل هذا التعبير في سياق الصراع العربي-الصهيوني، فإن معناه يصبح فعلياً: "الحفاظ على أمن واستقرار الاحتلال الصهيوني لفلسطين والجولان"، فلو طرح السؤال على حقيقته: هل توافق على الاحتلال؟ فإن الإجابة سوف تختلف طبعاً مقارنةً بسؤال: هل توافق على الأمن والاستقرار بالمنطقة؟ ولذلك فإن السؤال الثاني يصبح غلغلاً للسؤال الأول، الفعلي، الذي يتبعه منطقياً أن من يرفض الاحتلال الصهيوني يصبح "متطرفاً" أو حتى "إرهابياً"، لأنه يهز "الأمن والاستقرار"، بما أنه يرفض أو يقاوم الاحتلال.

والعكس صحيح تماماً بالنسبة لسورية، فلو قلنا مثلاً: "ثورة من أجل الحرية، الديمقراطية، والإصلاح"، فإن موقف أغلب الناس، في سورية والوطن العربي والعالم، سوف يختلف عما لو قلنا: "قننة ومجازر وإرهاب مدعوم وممول من الخارج"، فإذا ألبسنا القول الثاني لبوس الأول، كما فعلت عشرات القنوات الفضائية ومئات المواقع على الشبكة العنكبوتية والغرف السوداء التي تتغلغل في فضاء مواقع التواصل الاجتماعي، فإن الثائر في فلسطين يصبح "إرهابياً"، والإرهابي في سورية يصبح "ثائراً"، وهذا هو ما جرى فعلياً.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

لذلك كانت أحد أهم أبعاد الصراع في سورية منذ عام 2011 تدور في فضاء المصطلحات: هل نحن إزاء "ثورة شعب ضد نظام ديكتاتوري مجرم"، أم إزاء "فتنة ومجازر وإرهاب مدعوم وممول من الغرب وتركيا والدول الخليجية ضد شعب ودولة مستقلة ذات سيادة"؟ والحقيقة أننا إذا وضعنا المسألة بشكلها هكذا، كمقولة في مواجهة أخرى، فإن الصراع يصبح أكثر عدالة، كصراع روايات متقابلة يحكمها ميزان التماسك المنطقي والوقائع، لا صراع مصطلحات وتعابير فحسب، أما حين تُغيب أو تُغيب روايتنا لما يجري على الأرض، وحين نواجه حملة إعلامية وافتراضية كاسحة خلفها قوى دولية وإقليمية كبرى تسعى لفرض المصطلحات المخترقة والمضللة كنقاط مرجعية للحوار، ولحجب روايتنا ومصطلحاتها عن الحوار العام، فإن نصف المعركة يكون قد حُسم من دون إطلاق طلقة واحدة، إن لم يكن أكثر من النصف، لتصبح المصطلحات المعادية بيارق تجتمع جيوش "الشارع" الحقيقي أو الافتراضي من حولها، تماماً كما كانت الجيوش تجد في الرايات نقاطاً مرجعية تجتمع حولها في غبار المعارك في الأزمان الغابرة أيام السيوف والتروس، سوى أن المصطلحات المزيفة باتت هي الغبار الذي يحجب الرؤية اليوم.

- نحو تأسيس مصطلح قومي عربي واضح:

لأن القومية العربية باتت تعني أشياء مختلفة، وحتى متناقضة، للناس المختلفين، وقد التبست المعاني المتصلة بها وتداخلت إلى حد بات معه الخلط هو سيد الموقف، فلا بد من تأسيس مصطلح قومي عربي واضح. فإذا كان لا بد من أن نخالف على القومية العربية، دعونا نحدد على الأقل على ماذا نخالف بالضبط.

- العروبة أو القومية العربية كهوية وانتماء: هي الرابط الذي يشد أبناء الأمة العربية إلى بعضهم البعض استناداً إلى اللغة والتاريخ والثقافة والرقعة الجغرافية والمصير المشترك، وهي عوامل تاريخية عمرها آلاف السنين تنتج الهوية القومية العربية والانتماء القومي العربي طبيعياً. نقول القومية العربية تميزاً لها عن القوميات الأخرى، الصينية مثلاً أو الفرنسية أو الطورانية أو غيرها، إذ أن الوجود البشري على هذه الأرض يأتي على شكل شعوب وقبائل، والشعوب قوميات، ولا نقول شيئاً هنا عن أفضلية قومية على أخرى، إنما نقول إن انتماء أي فرد لقوميته هو هوية تاريخية تستند إلى حقيقة الوجود القومي. والعروبة، بالمجرد، هي تلك الهوية وذلك الانتماء بغض النظر عن التوجه السياسي أو الفكري أو الديني أو الأصل العرقي لحامل الهوية العربية.

- القومية العربية (كمدرسة فكرية وعقيدة): هي أيديولوجيا أو مبدأ فكري تلتزم به حركات أو أحزاب سياسية أو مثقفون أو مناضلون، فهناك حركات أو أحزاب قومية عربية، ناصرية أو بعثية أو قومية يسارية مثلاً، وهناك مفكرون قوميون، مثل ساطع الحصري أو عصمت سيف الدولة أو ياسين الحافظ أو ناجي علوش وغيرهم، وهناك قادة قوميون، مثل الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس بشار الأسد، وهذا يعني أن هؤلاء عملوا أو يعملون من أجل وحدة الأمة العربية وتحررها ونهضتها، أو أنهم قدموا رؤى فكرية تبلور المفاهيم القومية أو طرق تحقيق مشاريع الوحدة والتحرر والنهضة، وهناك مناضلون قوميون هم جنود وضباط المشروع القومي الذين يعملون ويضحون من أجل تحقيق أهدافه.

- العروبة الرسمية أو الجامعة العربية: هي الإطار الذي يضم الدول التي صنع حدودها الاستعمار، فهي تمثل منظومة التجزئة، ولا تمثل الأمة العربية، لأن الأمة العربية هي الشعب العربي بلغته وتاريخه وثقافته ومصالحه ومصيره، والأمة العربية لم توجد تاريخياً بالشكل المقسم الذي تعبر عنه الجامعة العربية اليوم، فالجامعة العربية إطار صنعه البريطانيون ليمثل حدود التجزئة، وليحافظ عليها، وبالتالي فإن الأمة العربية والهوية العربية لا علاقة لهما البتة بما تفعله الجامعة العربية التي باتت تسيطر عليها أنظمة رجعية متخلفة تابعة للغرب، وما يحدث داخل الجامعة العربية هو نتاج ميزان القوى بين الأنظمة العربية، فلا يمكن أن ينتج عن الجامعة العربية شيء جيداً إلا بتأثير أنظمة ذات توجه وطني وقومي داخلها، والجامعة ما هي إلا انعكاس للوضع العربي، ولكن المهم أن الجامعة العربية أو الأنظمة العربية ليست ممثلة العروبة.

- الوطن العربي: هو الموطن الجغرافي للأمة العربية، وهو يتميز بحدود طبيعية معرّفة بالحوجز الطبيعية من جبال طوروس وزاغروس إلى البحار والمحيطات والصحارى الكبرى، وهذا الموطن يتعرض للتآكل بالغزو والاحتلالات عندما تكون الأمة ضعيفة ومجزأة كما يحدث اليوم، وبالتالي فإن مصطلح الوطن العربي أوسع من "البلدان العربية"، لأن في وطننا العربي أراضي محتلة كثيرة، لا فلسطين فحسب. ويجب أن نحذر من مصطلح "العالم العربي" المضلل، الذي يوحي أننا لسنا أمة واحدة، والأخطر منه طبعاً مصطلح "الشرق الأوسط" الاستعماري.



العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

- الشعب العربي: هو أبناء الأمة العربية وبناتها في كافة الأقطار العربية وعددها اليوم 450 مليوناً تقريباً، وهو يختلف عن مفهوم "الأمة العربية" في أن مفهوم الأمة يتضمن معنى الذاكرة التاريخية واللسان العربي والأجيال السابقة وتلك التي لم تولد بعد، فمفهوم الأمة العربية أوسع من مفهوم الشعب العربي. فالشعب العربي جزء من الأمة العربية بشرياً ومعنوياً لكنه يعني الحاضر فقط، وهو تحديد بشري، أي "العرب"/الناس هنا واليوم، أي هو السوريون والعراقيون والحجازيون واليمنيون والمصريون والسودانيون وأهل المغرب العربي إلخ... وبالتالي فإن من يشتم "العرب"، فإنما يشتم ذاته، ولا يجوز الخلط بين الأنظمة العربية وما تقوم به من جهة، وبين العروبة أو الشعب العربي من جهة أخرى، فإذا قام نظام عربي تابع للغرب بشيء ما ضد عرب آخرين فإن ذلك لا يدين كل أبناء البلد الذي يحكمه ذلك النظام، ولا يجعل عداءنا مع القطر الذي يتحكم فيه ذلك النظام. وكما قال الرئيس الأسد بعد تعليق عضوية سورية في الجامعة العربية: "العروبة هي انتماء لا عضوية.. العروبة هي هوية يمنحها التاريخ، لا شهادة تمنحها منظمة.. العروبة هي شرف يتمثل بالشعوب العربية، وليست عاراً يحمله البعض من المستعربين على الساحات السياسية في العالم أو في الوطن العربي" (جامعة دمشق 10/1/2012).

- العروبة الحضارية: هي مفهوم طرحه السيد الرئيس بشار الأسد، مع العلم أن الرئيس الأسد من أكثر المثقفين العرب عناية بالمصطلحات وتفكيكها وكشف رسائلها ومضامينها، ويجد القارئ الكريم تأصيل مفهوم "العروبة الحضارية" وتنظيره في مادة "ما هي العروبة الحضارية؟" لكاتب هذه السطور يمكن إيجادها بسهولة على الإنترنت، ولكنه باختصار مفهوم يركز على العروبة كوعاء متعدد الأعراق والأديان والتوجهات السياسية والفكرية، وهو يركز بالأخص على أن العرق، أو الأصل العرقي، ليس من عوامل تكوين الأمة أو القومية، وأهمية ذلك أنه يبني العروبة على أساس لغوي ثقافي وجغرافي وحتى مصطلحي (جغرافي-سياسي)، بمعنى المصالح الكبرى لأهل الوطن العربي الكبير الذين قد يتحدرون من أصول غير عربية أو من أصول عربية قديمة، وبالتالي فإن هذا المفهوم يضع العروبة على أساس منفتح متفاعل، لا على أساس شوفيني، من شوفينية، بمعنى تعصب قومي. وسنجد لو عدنا لتعريف العروبة الحضارية أن العروبة منذ العصر العباسي حتى منظري الفكر القومي الحديث استندوا لمفهوم العروبة الحضارية، لا للمفهوم النازي للقومية الذي بناها على أساس العرق الأري وما شابه. وكما قالها الرئيس الأسد: "آخر شيء في العروبة هو العرق.. والعروبة هي حالة حضارية" (جامعة دمشق 10/1/2012)، وكما أكد سيادته في لقائه مع العلماء ورجال الدين في 23/4/2014: "عندما نتحدث عن العروبة لا نتحدث عن العرق. العرق هو آخر شيء نفكر فيه منطقة مثل منطقتنا المتنوعة".

- الوطنية: من وطن، وهو تحديد جغرافي، كما الشعب تحديد بشري، فيما الأمة تمثل تحديداً اجتماعياً-سياسياً يتضمن الوطن والشعب، وفي حالة الوطن العربي يتضمن كل الأراضي العربية والأقطار الموجودة ضمنها، وقد استخدم العرب كلمة وطن، أو موطن، قديماً لوصف أشياء متنوعة، من الحي إلى القرية التي يسكنها الإنسان أو ينتمي إليها إلى المنطقة أو المدينة التي تنتمي إليها تلك القرية أو ذلك الحي إلى البلد أو القطر الذي يكون الإنسان مواطناً فيه، والحس الوطني بالمعنى المعاصر يعني الحرص على ذلك القطر والشعور بالانتماء إليه واتخاذ موقف من أي محاولة لإخضاعه أو الهيمنة عليه أو التدخل فيه أو احتلاله من قبل الاستعمار سابقاً أو الإمبريالية حالياً أو أدواتها أو من قبل قوة أجنبية، ولذلك توصف حركات التحرر من الاستعمار بأنها حركات وطنية، تسعى للتخلص من الاستعمار الفرنسي أو البريطاني في البلدان العربية، من المغرب للمشرق العربي، أو الاحتلال الصهيوني لفلسطين طبعاً، وكلها وطنيات حظيت بدعم شعبي عربي عارم.

فهل هناك تناقض بين الوطنية والقومية يا ترى؟ لا تناقض بين الوطنية والقومية العربية على الإطلاق إذا حددنا عن أي وطنية وقومية نتحدث بالضبط. فعندما يتعلق الأمر مثلاً بمواجهة قطر عربي مع استعمار أو قوة هيمنة خارجية، على سبيل المثال، عندما تحتل فرنسا الجزائر، كلنا جزائريون، وعندما يحتل الصهاينة فلسطين، كلنا فلسطينيون، وعندما يعتدي الناتو على ليبيا، كلنا ليبينيون، وعندما تحتل الولايات المتحدة العراق، كلنا عراقيون، وعندما يحتل العدو الصهيوني لبنان، كلنا لبنانيون، وخلال العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، كان من الطبيعي أن نكون كلنا مصريين، إلخ... بالتالي فإن الدفاع عن استقلال قطر عربي في مواجهة عدوان أو احتلال أو تدخل، مثل التدخل التركي في سورية أو ليبيا، هو دفاع عن الأمة العربية كلها، وريثما تتحقق الوحدة العربية، فإن التأكيد على الهوية الوطنية في وجه المخاطر الخارجية أو الداخلية، مثل الإرهاب التكفيرى أو مشاريع التفكيك، هو عمل قومي بامتياز، وكذلك محاولة استنهاض القطر ثقافياً أو اقتصادياً أو إدارياً أو بأي شكل إيجابي، مع الإدراك والتأكيد أن لا نهوض حقيقياً في أي قطر عربي بمفرده من دون مشروع قومي، ولا تحرر حقيقياً من دون مشروع قومي.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد



فمن أين يأتي مثل ذلك الانسجام بين الوطنية والقومية يا ترى؟ لو نظرنا إلى كل الوطنيات العربية الحقة لوجدنا أن القاسم المشترك فيما بينها هو عربيتها، فتلك هويتها وجوهرها التي تجعلها جزءاً من وطنية الانتماء للوطن العربي الكبير، ولكي تتسع العروبة لكل تلك الوطنيات، وكل ما فيها من أعراق وأديان ومناطق وعشائر، فإنها لا بد من أن تكون عروبة حضارية، غير عرقية، وبالمقابل فإن الوطنيات الحقة لا تجد ضيراً في الاندماج في وطنيات أخرى في بوتقة العروبة، أما عندما يكون الحس القطري مناهضاً للعروبة كقاسم مشترك، ورفضاً للانضمام تحت لوائها، وعندما يوضع الحس الوطني لأحد الأقطار العربية في مواجهة الحس الوطني لقطر عربي آخر، كعائق قطري في وجه قطر عربي آخر، فإن ذلك لا يعود حساً وطنياً، بل يصبح نزاعاً قُطرياً، مثلاً، ما حدث مرة من تراشق عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها نتيجة مباراة كرة قدم بين مصر والجزائر، أو عندما تُفتح نزاعات على مستوى الشارع مثل فلسطيني-أردني، أو سوري-لبناني، أو مغربي-جزائري، إلخ.. فهذا بكل صراحة لا علاقة له بالوطنية من قريب أو بعيد، وبالتأكيد لا علاقة له بالقومية العربية،

بل هو أشبه بصراعات داحس والغبراء المألوفة في تراثنا وثقافتنا للأسف، حتى داخل القطر الواحد أو المحافظة الواحدة أو القرية الواحدة، وهي نزاعات، على كل حال، لا تغير من انتماء المتنازعين للعروبة شيئاً، لأن العروبة هوية حضارية ترسخت عبر آلاف السنين، وهي أقدم من أي قطر عربي ضمن حدود عابرة رسمها الاستعمار ولا يمكن أن تدوم إلى الأبد.

الخطاب الأثري بين التوراة والاستشراق: علم الآثار الفلسطيني

فارس سعادة

لا يعلم الكثير من الناس بأن العالم الألماني غوستاف دالمان قدم للغرب حقيقة اللغة والكتابة التي كتب بها الإنجيل، أي اللغة الآرامية، وذلك في نهاية القرن التاسع عشر، فقد كانت الفكرة السائدة بأن العبرية هي لغة الإنجيل الأصلية. هذا ما يفتح النقاش حول حقيقة المعرفة التي قدمها الغرب لعلم الآثار، والمقصود بالمعرفة هنا، هي مجمل التفسيرات والسرديات الأثرية والتاريخية التي أنتجت من خلال ممارسات علماء الآثار في الشرق عموماً.

بعكس حقيقة معرفة رجال الكهنوت في الشرق باللغة الآرامية وقدرتهم على التحدث بها والكتابة بأحرفها الأصلية، كان رجال الكنيسة في الفاتيكان غافلين عن هذا الأمر، بالرغم من سيطرتهم على جبال كاملة في فلسطين والأردن بحجة قدسيتها للديانة المسيحية، كما جبل نيبو في الأردن وجبال القدس والناصرية. لربما كان اكتشاف المستشرق الألماني دالمان عاملاً في زيادة الاهتمام المسيحي بالمنطقة من خلال منظور جديد، يعترف بحقيقة أننا، أي الغرب، لا نزال نجهل الشرق على حقيقته المخفية تحت أكوام من الصخور والحجارة المترامية في كل مكان في "الشرق"، نعم، الشرق المتخيل من قبلهم هم، أي الغربيين.

تقاسمت القوى الكولونيالية الغربية مناطق الهلال الخصيب ووادي الرافدين ومصر منذ ما قبل بداية الحرب العالمية الأولى فيما بينها بشكل غير رسمي، وربما بشكل غير مقصود، فقبل نهاية القرن التاسع عشر كانت البعثات الأثرية الأوروبية (البريطانية والألمانية والفرنسية والروسية والإيطالية) تعمل بشكل منفصل في العراق وسورية ومصر، أي أن العمل تم تحت أنظار الدولة العثمانية، نتاج هذا العمل الأثري كان مختلفاً بحسب دوافعه من جهة والجهة المشرفة عليه من جهة أخرى، فقد كان الألمان يعملون في كل من العراق وفلسطين، والفرنسيون في مصر والعراق وسورية، أما الإنجليز فقد عملوا في فلسطين ومصر والعراق وسورية. بعيداً عن آلاف التحف والتماثيل، بل والأسوار مثل "واجهة قصر المشتى في الأردن" التي تمت سرقتها وتصديرها إلى أوروبا، فقد تم إنتاج عشرات الآلاف من التقارير والمقالات والكتب والأوراق اللاهوتية والعلمية في مجالات الآثار واللاهوت والديموغرافيا والجغرافيا والتاريخ



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

شكلت أساساً وقاعدة أساسية لعلم الآثار والمعرفة المسبقة للمنطقة تاريخياً لكل من جاء بعدهم أكان غربياً أم شرقياً.

بدأ العامل السياسي يشكل أساساً للعمل الأثري في المنطقة العربية خلال الحرب العالمية الأولى، ففي فترة الاحتلال



العثماني للمنطقة كان الألمان هم المسيطرون على علم الآثار ولو لفترة قصيرة، ومن ثم وبعد زوال الاحتلال العثماني لصالح الغرب، تم استبعاد علماء الآثار الألمان بشكل كبير ومباشر لصالح الإنجليز والفرنسيين والأمريكيين، هذه الصورة استمرت لما بعد الحرب العالمية الثانية، أي وصولاً لخمسينيات القرن العشرين، وبالتالي فإننا نستطيع القول إن الخطاب الأثري المتداول حول آثار المنطقة الممتدة من الخليج العربي واليمن إلى العراق وسورية وصولاً إلى مصر هو خطاب مُنتج من قبل علماء الآثار والمعاهد المتخصصة

في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا بشكل شبه حصري، وذلك نتيجة للصراع السياسي والعسكري، أو كنتيجة للصراع السياسي على المنطقة. وبالتالي فإن النصر السياسي انعكس على المعرفة والعلم في حقل علم الآثار.

تقسيم المشرق العربي بين الدول الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الثانية انتهى بأن نالت كل الدول المصطنعة حديثاً استقلالها بشكل أو آخر ولو على الورق، ولهذا فإن علم الآثار في هذه الدول التي اعتبرت أنها دول مستقلة أصبح يُمارس تحت ظل إدارة محلية وطنية ولكنه بقي يُمارس في ظل الهيمنة المعرفية للغرب، وهذا ما أدى إلى تصنيفه تحت مظلة «علوم ما بعد الكولونيالية»، أي أنه لم يتخلص من الأساس الغربي له وبقي يكرر المقولات والنظريات أو الفرضيات الغربية التي أسسها المحتلون. هذا ما لا ينطبق على فلسطين المحتلة جغرافياً، أي فلسطين الممتدة من النهر إلى البحر، لأنها لم تتل حتى استقلالاً سورياً وبقيت تحت الاحتلال المباشر للإنجليز ومن ثم الصهاينة.

علم الآثار في فلسطين بقي تحت مظلة الاستعمار البريطاني وهو ما جعله كعلم يقع تحت تصنيف «علم الآثار الإمبريالي» أي تحت الهيمنة البريطانية، أي أن ممارسة علم الآثار في المشرق العربي، وتحديدًا في فلسطين، ارتبط بالطبقة الوسطى في بريطانيا وبالاعتقاد السائد هناك في لندن بأن «المشرق الأدنى» هو أصل الحضارة وأنهم هم أي الأوروبيين هم الورثة الحقيقيون له، وذلك بحسب عالم الآثار الشهير بروس تريغر.

شكلت فلسطين حالة مميزة من الناحية الأثرية، فمن ممارسة إمبريالية تحت ظل الهيمنة البريطانية إلى ممارسة كولونيالية صهيونية إلى يومنا هذا، أي أن مجمل الخطاب الأثري حول آثار فلسطين هو خطاب غربي وافد ومنطلق من عقلية غربية يمتلك تاريخية معينة تتصل بالعقل الغربي، أي بالمصالح الغربية الإمبريالية.

تحولت الآثار في فلسطين إلى هدف عام لكل فرد صهيوني منذ ما قبل الاحتلال عام 1948، فقد أصبح علم الآثار هوية وطنية لمغتصبي الأرض، وسنت القوانين والأعراف التي تشرعن الحفر والبحث عن الآثار في فلسطين وشرعنة بيع الآثار وشرائها بشكل علني ونقلها وتصديرها، وشجعت سلطات الاحتلال منذ اليوم الأول لاحتلال فلسطين على ربط علم الآثار بالدين اليهودي من أجل تبرير الوجود الصهيوني على أرض فلسطين، وقد كان متحف روكفيلر في القدس من أهم الأدوات التي مثلت السلب الحضاري والتاريخي للآثار في فلسطين، ويشمل هذا السلب التزوير التاريخي وطرق عرض الروايات والسرديات التاريخية والأثرية... الخ.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

تكمّن المشكلة الرئيسية عند الحديث حول علم الآثار في فلسطين في عاملين أساسيين، هما: الهدف من عمليات التنقيب وهوية المنقب والآثاري المشرف على هذه العمليات. فبحسب أغلب علماء الآثار التوراتيين في فلسطين وخارجها، إن الهدف الأساسي من عمليات التنقيب في كل أرجاء فلسطين هو تقصي الأحداث الواردة في كتاب التوراة والنصوص اليونانية القديمة، وكل ما يتعلق بالدين اليهودي وسردياته التاريخية، وهذا ينعكس على عملية التنقيب والحفر من خلال عدم الاكتراث غالباً بالفترات الزمنية التي تسبق الأحداث التوراتية المزعومة من جهة، وشطب الآثار اللاحقة للأحداث التوراتية، بل وإزالة أي أثر يتناقض مع هذه الروايات أو تحريفه من خلال عمليات التفسير أو الهدم والبناء.

يعود الفضل في قوة علم الآثار التوراتي مع التحفظ على وصف علم، إلى علماء الآثار الإنجليز والأمريكان بشكل أساسي، كما ذكرنا سابقاً، وبعد الحرب العالمية الأولى تم شطب وتهميش الخطاب الأثري الألماني بالرغم من أنه الأكثر حيادية وعلمية مقارنة بغيره من الخطابات الغربية حول آثار المنطقة العربية في المشرق، مع وجود تحفظات هنا وهناك كالنظرية العنصرية والعرقية الألمانية في بعض الفترات في بداية القرن العشرين تزامناً مع الصعود النازي في ألمانيا، إلا أن احتكار الإنجليز والأمريكان لممارسة علم الآثار بشكل عملي ونظري همش أي خطاب مخالف أو مختلف بل واحتكر النقاش العلمي حول الموضوع الفلسطيني تحديداً، وهذا ما أوصلنا إلى مشهد سيطرة علم الآثار التوراتي على الآثار في فلسطين الآن.

عمليات التفسير الأثري ترتبط دائماً بالعالم نفسه أو بموضوع المادة الأثرية، كذلك الترجمات للنصوص والنقوش الأثرية، فعلى سبيل المثال يذكر اللغوي والآثاري الشهير صاموئيل كزيمر مصطلحات سومر وسومريين وسومري في الكثير من ترجماته وكتبه بالرغم من عدم وجود هذه الكلمة في أي من النصوص التي ترجمها، لذلك وبخبت يذكر في ملاحظاته حول هذه الترجمات بأنه وضع مصطلح سومري مثلاً للإيضاح والدلالة على المكان أو الشعب! نعم هذه حقيقة! لم تذكر النقوش اسم شعب سومر أو سومري ولا أرض سومر بالحرف، كل ما هناك أنها اجتهادات من قبل مترجم متصهين لا غير. كذلك حدث ويحدث في فلسطين، فعملية التنقيب الحديثة مثلاً للحقب الزمنية في فلسطين تدس السم بالعسل، فتذكر الحقب الكنعانية والفيلستينية ومن ثم الإسرائيلية، وهذا خلط وتبرير للوجود الصهيوني في فلسطين بشكل «علمي».

يتسع النقاش كلما حفرنا عمودياً أو أفقياً في فلسطين، فالوجود البشري العاقل في فلسطين يعود لما قبل 90 ألف عام قبل التاريخ، وتعتبر فلسطين معبراً تاريخياً بين القارات القديمة الثلاث، وفيها بدأت أولى المحاولات للزراعة وتدجين الحيوانات، ومن المؤكد أنها ومنذ فجر الحضارة الأولى أي قبل سبعة آلاف عام من الآن بقيت تحمل ملامح حضارية واحدة تشترك مع العراق وسورية ومصر بنفس الأسس الحضارية، من نواحي اللغة والمعتقد أو الفكر وحتى الفن.

فلسطين حضارياً تتبع بلاد الشام، قدمت الكثير وكانت الأساس للكثير من الثورات والقفزات الحضارية في المنطقة والعالم، وهي جزء من حضارة المشرق العربي القديم لم تنفصل عنه تاريخياً، ولم تحمل أي صفات حضارية مختلفة عن حضارة المنطقة الكبرى، ببساطة هناك ما يسمى تمايزات ثقافية بين البدو والحضر كما بين أهل البحر وأهل الجبال، هذه التمايزات توجد في كل حضارة وثقافة في أي بقعة من الأرض ولكنها لا تشكل اختلافاً بالمعنى العرقي أو الثقافي، فالقوميات الكبرى تشكل من عدة جماعات سكانية كلٌ منها يحمل سمات متميزة ولكنهم جميعاً يشتركون بالثقافة الأساسية أو الثقافة القومية والتي تشكل وتحتويها اللغة أساساً.

تاريخ فلسطين بحسب علم الآثار الحديث

ظهرت فلسطين على خريطة الوجود البشري منذ القدم وذلك لأسباب جغرافية وبيئية بحتة، فقد كانت على أطراف المناطق المناخية الأولى التي بدأت من العصر الجليدي الأخير حوالي 14 ألف قبل الميلاد، وكانت أول حضارة بدائية للبشر في فلسطين هي الحضارة الكيبارية قرب حيفا والتي تعود للألف السادسة عشر قبل الميلاد، ومن ثم ظهرت الثقافة النطوفية والتي أنتشرت في أغلب مناطق بلاد الشام القديمة وهي جميعاً ثقافات تعود للعصور الحجرية القديمة. تميزت هذه الثقافات باستخدام الحجارة الصوانية كأدوات مختلفة للصيد وسلخ جلود الحيوانات وبالتنقل، أي عدم الاستقرار، واستخدام المغر والكهوف كإماكن سكن، كما تميزت بقلّة عدد السكان والتجمعات السكانية، أي أن الإنسان في تلك الفترة اعتمد على الصيد وجمع الثمار الصالحة للأكل كوسيلة للحياة.



شكلت الثورة الأولى في البشرية، وهي اكتشاف الزراعة، نقلة نوعية في حياة البشر في مناطق الهلال الخصيب ووادي الرافدين وكانت السبب الأول في الاستقرار للكثير من المجتمعات في تلك المناطق. انتقلت التقنية الزراعية إلى مناطق جنوب بلاد الشام في فلسطين سريعاً، وهذا ما أدى إلى تحول ثقافي كبير أيضاً في فلسطين وعموم جنوب سورية (عين غزال في الأردن)، وهذه النقلة أدت إلى استقرار سكاني في مناطق خصبة بجانب الينابيع والأنهر الصغيرة في فلسطين تحديداً وتشكيل مستوطنات وقرى زراعية صغيرة كانت النواة التي بدأت منها ثورة معمارية تلخصت ببناء المنازل والمباني العامة وحتى الأسوار الدفاعية والسلال الزراعية أو المصاطب كما في أريحا في الغور الأردني غربي النهر، كل هذا يؤرخ للفترة الممتدة ما بين 10.000 - 5.000 قبل الميلاد، أي خلال العصر الحجري الحديث، الذي تميز بالزراعة والاستقرار واكتشاف الفخار وظهور المعالم الأولى للتواصل عبر نوع مبسط من الكتابة الصورية والشكلية و(التوكينز)، أي أدوات صغيرة الحجم تدل على الملكية أو على الكمية.

تميزت هذه التجمعات السكانية التي انتشرت من أقصى الشمال السوري إلى مناطق الغرب المطل على البحر وصولاً إلى مناطق جنوب سورية وباديتها بالتنشأبة الثقافي والتقني، إضافة إلى تسجيل وجود تبادل تجاري كثيف بين مناطق الجنوب والشمال أي بين فلسطين وشمال سورية، هذا التشابه الثقافي عزز من إمكانية التوسع الاستيطاني الذي سهله التبادل التجاري بين تلك المناطق. كل هذه الأحداث كانت تجري ضمن بوتقة إثنية واحدة تعود لإنسان جبل الكرمل في فلسطين كما كانت متصلة بالإنسان الذي أسس الحضارة النطوفية والتي تعتبر أساساً لما جاء بعدها من ثقافات أو حضارات محلية وإقليمية.

منذ الألف الخامسة قبل الميلاد ظهرت مادة النحاس كأساس لتشكيل وصنع الأدوات اليومية التي تستخدم من قبل البشر في هذه المنطقة، وبالتزامن مع اكتشاف النحاس ظهر نوع جديد من الاستيطان يعتمد على المناطق الجافة والمحمية طبيعياً، وأشهر هذه الثقافات هي ثقافة تليلات الغسول والتي تم تقسيمها إلى عدة ثقافات من قبل علماء الآثار لأسباب سياسية أو بحسب التقسيم السياسي للحدود جنوب سورية بين فلسطين والأردن. المهم هنا هو أن الثقافات التي ظهرت في مناطق فلسطين هي ثقافات محلية تشترك ثقافياً مع جميع ثقافات بلاد الشام كتقافة حلف ووادي الرافدين كالعبيد وصولاً إلى سينا ومناطق وادي النيل التي ظهرت فيها ثقافة نقادة الأولى والثانية والثالثة.

أصبح التعقيد الاجتماعي السياسي سيد الموقف خلال الألف الرابع قبل الميلاد وصولاً إلى يومنا هذا، وذلك بسبب التطور التقني والاقتصادي الذي حدث في المنطقة منذ اكتشاف المعادن كالنحاس ومن ثم البرونز وصولاً إلى الحديد. عكست مناطق فلسطين التاريخية تعقيداً اجتماعياً سياسياً لأسباب ترتبط بالتضاريس والبيئة وبالموقع الجغرافي لفلسطين الذي شكل معبراً رئيسياً بين حضارات وادي الرافدين وغرب سورية ودلتا النيل.

مسألة أصل الحضارة وأصل المجتمعات السكانية التي استوطنت فلسطين يبدأ منذ نهاية العصر البرونزي المتأخر، أي منذ 1400 عام قبل الميلاد، قبل هذا التاريخ لا وجود لنقاش حقيقي وجدي حول هذه الأصول العرقية، فالجميع يتفق على أن سكان فلسطين من الجماعات المحلية في سورية الداخلية وسواحل سورية. حتى الجماعات الرعوية التي تسمى "الهكسوس" هي جماعات محلية لم تأت من الخارج، فقد جاءت من المنطقة وتحديداً من مناطق فلسطين المختلفة واستطاعت أن تسيطر على جنوب سورية ومصر لفترة متوسطة من الزمن.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

فرضت السرديات التوراتية نفسها على جغرافيا فلسطين بسبب الأطماع الغربية في الأرض خلال القرن التاسع عشر، وبالتالي كان لا بد من تحديد أصول سكان المنطقة وتقسيم الحقب الزمنية بالنظر إلى الرواية التوراتية والارتباط بالمسيحية في العقل الغربي ناهيك عن الكولونيالية نفسها التي اعتبرت الشعوب والأمم الأخرى أدنى منها وتابعة لها ثقافياً وبشكل خاص بلاد الشام والعراق وعموم الوطن العربي لأسباب سياسية تاريخية معروفة، ولكن هناك أسباباً ثقافية مختلفة لم ينطرق لها كثير، أهمها هو أن أصل الحضارة البشرية من عندنا، والاعتراف الغربي بأن منبع الحضارة البشرية من وادي الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل وعلى يد شعب هذه الأرض، سيكون خنجراً في العقل الغربي المركزي المتعالي على بقية أمم العالم وضربة قاضية للنظريات العنصرية والفوقية.

فرضت التوراة سردية معينة حول فلسطين تتعلق بمسألة التيه والخروج من مصر، ولذلك تم التركيز على فترات معينة في تاريخ فلسطين لإثبات هذه السردية وتحديد جغرافيتها منذ البداية وحتى النهاية، ناهيك عن تحديد مسارات الخروج أو العبور والاستقرار والمعارك وما يترافق معها من مسائل وأحداث تاريخي محددة. يركز علم الآثار الفلسطيني، أي الممارسات الأثرية المتعلقة بآثار فلسطين على العصور البرونزية المتأخرة والعصور الحديدية ومن ثم الهلنستية والرومانية، وهذا ما سيتم إلقاء الضوء عليه في مقال آخر في العدد المقبل من مجلة طلقة تنوير.

عن التعليم والدراسة عن بُعد في زمن الكورونا

نسرین عصام الصغير

النعيمة: أولياء أمور يقومون بحل الامتحانات عن ابنائهم #الأردن

الجمعة، 13 أكتوبر / تشرين الأول 2020



الكورونا مرض سارٍ، ولن أتطرق في السطور التالية لتأكيد وجوده أو نفيه، ولن أتحدث عن خطورته الصحية، بل سأتناول خطورته التعليمية والثقافية والاجتماعية. ففي البداية والنهاية أنا لست طبيبة، إنما أكتب هذه السطور بصفتي مواطنة عربية معينة بالنشء الصاعد، وبصفتي أمّاً، وسأتحدث فيما يلي عن تجربة احتواء الكورونا في الأردن، القطر العربي الذي أعيش فيه. هل الكورونا هو السبب الوحيد لحرمان أطفالنا من الذهاب للمدارس أو الجامعات، أم أن هناك أسباباً أخرى؟ بعد مرور ما يقارب العام على انتشار الكورونا، هل أصبحنا حقلاً جيداً لإجراء التجارب الصحية والاجتماعية؟ هل تنتقل الكورونا فقط في المدارس وأماكن التجمعات الاجتماعية والثقافية ولا تنتشر داخل الأسواق والأندية الرياضية مثلاً التي بقيت مفتوحة؟ وهل الدراسة عن بُعد هي الحل فعلاً لمكافحة كورونا؟

نمر اليوم بمرحلة صعبة وهي النظر إلى مستقبل أطفالنا حيث أصبحنا نراهم محرومين من أي تجمع، وعلى رأس تلك التجمعات، التجمعات التعليمية، أي المدارس والجامعات، أي محرومين من عيش أجمل أيام العمر وأكثرها إضافة لأي إنسان، فكل منا لا ينسى معلماً ترك بصمة في حياته المدرسية، أو دكتوراً في الجامعة، أو صديقاً أو أكثر على مقاعد الدراسة. الهدف من الذهاب للمدرسة ليس التعليم فحسب. فالمدرسة هي أول مجتمع مصغر ينخرط فيه الإنسان خارج عائلته المباشرة، ويكتسب منه المهارات الاجتماعية والسلوكية في التعامل مع الآخرين، ويكتشف عبره أنه جزء من كل لا محور اهتمام عائلته فحسب، كما أن المدرسة مكانٌ يبدأ فيه المرء بالمشاركة مع أقرانه في القرارات وفي المعلومات وحيز المعرفة وبالتعلم من تجارب الآخرين، لكن اليوم



وبعد أكثر من عام دراسى حُرِمَ فيه أبناؤنا من الجلوس على المقاعد الدراسية، وبالتالي من الاحتكاك مع مفاهيم ضرورية لحياتهم المستقبلية مثل أهمية الوقت واحترامه والالتزام والانضباط والتعاون والجدية والصدق والأمانة ومعرفة معنى القدوة داخل الغرف الصفية وخارجها، نجد أنفسنا نتساءل: إلى أين تقودنا تجربة الدراسة عن بُعد على الصعيدين الاجتماعى والنفسى؟

لم نعد نتحدث إذاً عن التعليم فى مرحلة راحت تنزع عزع فيها القيم الأساسية لدى الطالب، فهو يتعامل مع حصص إلكترونية لا يعرف من يعطيه إياها، وبات يمكنه الدخول إلى المنصة الإلكترونية متى يشاء، وقد أصبح جهاز الحاسوب، أو "التابلت" أو الهاتف "الذكى"، هو الأداة التعليمية ومعلمه ومرشده حقيقةً، مع العلم أننا قبل التعلم عن بعد كنا نعتبر مثل تلك الأجهزة الإلكترونية رفاهيةً وكماليات يُحدد للطالب وقتٌ محدد للجلوس واللعب بها بعد وقت الدراسة. فكيف لنا اليوم أن نمنع أبناءنا من استخدامها كما يشاؤون؟ وكيف لنا أن نراقب ونسيطر على ما يطلعون عليه فيها بعد أن أصبحت تلك الأجهزة هي المدرسة والمعلم، والطالب يتابع حصصه الدراسية ويقدم واجباته اليومية وامتحاناته عبرها؟

كان الطالب فيما مضى يقوم بواجباته اليومية فيحفظ الشعر ويتعلم الرياضيات ويشق طريقه عبر قواعد اللغة ويدرس العلوم ويجري التجارب المخبرية ويتعرف على جمالية اللغات سواء العربية فى شعرها ونحوها وعروضها أم اللغات الأخرى التي تشكل له مفتاحاً للحياة العملية، أما اليوم فالطالب لا يحفظ شيئاً لأنه يقوم بالإجابة عن أسئلة الإمتحان وهو فى حضرة كتابه وذويه!

فهل باتت المنظومة التعليمية فى خطر أكثر مما سبق، بعد أن دخلت منظمات التمويل الأجنبى (NGO's) إلى وزارة التربية والتعليم وتم اختراق وعى الطالب بإضافة مصطلحات تطبيعية كـ "ثقافة السلام" و"حفظ السلام" و"اتفاقيات السلام" و"السلام العالمى"؟!؟

لم تكتفِ وزارة التربية والتعليم بهذا الكم من اختراق وعى أبنائنا إلا أنها استمرت فى تجهيل الطلاب فى زمن الكورونا وأصبح الطالب عبارة عن ناسخ ألى من كتابٍ ما إلى الموقع الإلكتروني المخصص له، ولم يعد الطالب يفهم ويحفظ ويطبق ويعيد إنتاج ما يفهمه، فهو لم يعد بحاجة لأي مهارة للحصول على العلامة إلا مهارة نقل الإجابة بطريقة جيدة، ولم يعد بحاجة لإبداع مهارة الكتابة، فماذا سيكتب بعد أن أصبحت جميع امتحاناته اختياراً من متعدد؟ وهو لن يتذوق لذة كتابة موضوع التعبير أو الإبداع فى كتابة الإجابة بأسلوبه لأنه ليس مخيراً إلا بين الصحيح أو الخطأ.

بعد أن استطاعت منظمات التمويل الأجنبى اختراق المجتمعات والأسر يبدو أن هدفها بات اختراق الطفل ذاته من خلال تهديم منظومته القيمة، فقد كان الطالب يلتزم بموعد المدرسة وموعد الحصة ولا يمكنه الخروج منها إلا بإذن ولو لقضاء الحاجة، أما اليوم فقد أصبح الطالب يستيقظ متى يحلو له، ويتابع حصصه المسجلة فى الوقت الذي يعجبه، ويتقدم للامتحان متى يشاء، فأين أهمية احترام الوقت له وللآخرين؟ ثم تخرج علينا منظمات التمويل الأجنبى لتعطينا دورات لتعلمنا "إدارة الوقت"، فهل أصبحنا أداة فى يدها لتلقننا ما تريده متى يحلو لها؟

أما الالتزام والانضباط، فمن الطبيعى أن يلتزم أي طالب بمواعيد المدرسة وقوانينها مثل الزي المدرسى وتقديم الواجبات اليومية والامتحانات والقواعد المسلكية داخل الغرف الصفية مثل الهدوء وعدم التحدث من غير إذن والاستماع لزملائه وتعلم فن الحوار والنقاش والجلوس بالمكان المحدد له وغيرها الكثير، أما الآن فقد أصبح الطالب غير ملزم بأي قدرٍ من هذا.

كانت الغرفة الصفية، كقاعدة عامة لا تلغىها الاستثناءات، جامعةً لفئاتٍ مختلفة اجتماعياً وثقافياً يتعلم فيها الطالب من زملائه وتجاربهم ومحاولاتهم لإيجاد الإجابة الصحيحة، ويتعلم من أخطاء أبناء جيله ويتعاون مع مجموعته لإيجاد الحل الصحيح والأفضل والإجابة التي يبحث عنها المعلم فى عقول أطفالنا لا فى الكتب، وكان الطالب المتفوق يتعاون عادةً مع الطالب ذي الإمكانيات المحدودة ويساعده، لتتمكن المجموعة من التفوق وتأخذ النقاط بشكل جماعى بدلاً من البحث عن الحلول الفردية كما تحاول أن تروج البرامج التلفزيونية والأفلام المخترقة ثقافياً، فلا يوجد Superman فى الحقيقة، فالفرد جزء من كل وهنا تكمن المأساة الحقيقية، وكان الطالب إذا رأى زميله حزيناً يبحث معه فى مشكلته ليساعده على إيجاد حلٍ لها، وكان المعلم إذا أخطأ الطالب يوجهه ويتعلم زملاؤه من خطئه، واليوم، فى ظل الحجر



لائحة القومى العربى

العدد رقم (72) صدر فى 1 تشرين ثانى عام 2020 للميلاد

أصبح الطالب يبحث عن علامته وراحته هو فقط، فأين التعاون والتشاركية وشعوره بالآخرين الذى يكتسب الطالب شيئاً منه عبر المنظومة المدرسية؟

الصدق والأمانة من أهم السلوكيات التى يتعلمها الطالب فى المدرسة، وبالأخص فى فترة الامتحانات، حيث كان يرتعب الطالب من فكرة حمل لقب "غشاش" لأن الامتحان لتقييم أداء الطالب ومعرفة كم المعلومات التى اكتسبها، فيما أصبح الطالب اليوم يفتح الكتاب خلال الامتحان لإيجاد الإجابات التى يبحث عنها الموقع الإلكتروني، لا المعلم، فذهبت بذلك هبة الامتحان التى كان يكرم بها المرء أو يهان، فالصدق والأمانة اليوم اخترقا فى مفهوم أبنائنا وأصبح الطالب عبارة عن ناسخ لا يهتم لشعور أستاذه أو معلمته فهو لا تربطه مع هذا المعلم إلا هذه الشاشة الصغيرة التى لا يعلم من خلالها إلا اسمه.

ويخرج علينا وزير التربية والتعليم ليقول: أولياء الأمور يقومون بحل الامتحانات عن أبنائهم... فعلاً هذا ما يحدث: أولياء الأمور هم من يتقدمون للامتحان عن أبنائهم، فماذا أنتم فاعلون؟!

لعل من أهم ما خرجنا به من المدرسة هو مفهوم القدوة، سواء من المعلم أو المدير أو المرشد التربوي، فكثيرٌ منا كان يخفي أخطائه التى يقوم بها عن أهله بعد أن تقوم المعلمة أو المرشدة التربوية فى حلها من دون الرجوع لولي الأمر، وكان ذلك يترك أثراً نفسياً معيناً، ولو كان خفياً، فى أي طالب من دون أن يشعر، واليوم ذهب هذا النموذج الرائع من حياة أبنائنا ولم يعودوا يشعرون بلذته، فأنا حتى اليوم لم أنس قط أسماء معلماتي ودكاترتي فى الجامعة وما استفدته منهم وما قدموه لي وأنا لا أتحدث عن التعليم فقط بل عن نمط حياة يتم اختراقه وتشويهه من دون أن يشعر فلذات أكبادنا، والأطفال اليوم فرحون بحالة الفوضى وعدم الالتزام، لكن ما أتمناه وأدعو الله من أجله هو أن لا يندموا فى المستقبل على فرحهم، وأن لا تستمر هذه المرحلة العصبية لأن مستقبل أبنائنا فى خطر، لا على الصعيد التعليمي والأكاديمي فحسب، بل على جميع الصعد بعد أن أصبح مستقبل أبنائنا فى المجهول.

بعد انتشار الكورونا وتجاوزها الخمسين ألفاً من الإصابات فى الأردن والتأكد من أن هذا المرض ليس ذا خطورة كبيرة على فئة الأطفال والشباب الصغار، حيث لم تسجل الأردن حالات وفاة لأطفال، هل ستبقى وزارة التعليم متعنتة ورافضة لعودة أبنائنا للمقاعد الدراسية، وإذا استمر تغيب الأطفال عن مدارسهم، فهو خدمة لمن وإلى ماذا يهدف؟

نقول هذا مع العلم أن الصين والولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية لم تقم بحرمان طلابها من الجلوس على المقاعد الدراسية، فهل نعتبر ما يجري عندنا حرصاً زائداً على صحة المواطن الأردني أم ماذا؟!

الصفحة الثقافية: ثلاث قصائد عربية خالدة

طالب جميل

ثلاث قصائد عربية لثلاثة شعراء عرب (فلسطيني، سوري، ومصري) كتبت لثخذ كأفضل القصائد التى عبرت عن هويتنا العربية وهمومنا وتطلعاتنا كعرب، وقد انتشرت بشكل واسع وصارت جزءاً مهماً من المناهج المدرسية فى الأقطار العربية ومن كلاسيكيات الشعر الوطني والقومي فى عصرنا هذا، لذلك قلما تجد عربياً لا يعرف أياً من هذه القصائد ولا يتغنى بها.

(1) قصيدة موطني

رغم أن الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان لم يمكث فى هذه الحياة إلا ستة وثلاثين عاماً (1905-1941) إلا أنه استطاع خلال تلك السنوات تقديم تجربة شعرية مهمة وقصائد ملهمة ما تزال خالدة حتى يومنا هذا، وقد تميزت كثيرٌ من قصائده بطابعٍ وطنيٍّ ثوريٍّ تغنى فيها بالأرض وحيًا من خلالها الشهداء والمقاومين



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

وهاجم من تخاذل وبيع الأرض وانتقد الزعامات المتصارعة، ووجه قصائده ضد المستعمر البريطاني وحذر من المطامع الصهيونية، ومن أهم ما كتبه قصيدة (موطني).

كُتبت هذه القصيدة إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين، وتميزت مثل غيرها من قصائد إبراهيم طوقان بأنها تركت أثراً كبيراً في الأجيال العربية وما تزال حتى يومنا هذا من أكثر القصائد العربية المؤثرة وجدانياً وعاطفياً، وقد أصبحت بعد كل هذه العقود إرثاً شعرياً عربياً خالداً ارتبط بالوطن، فالقصيدة كتبت لفلسطين لكنها أصبحت لاحقاً تُنشد وتُغنى في كل قطر عربي.

يصف الشاعر الوطن بأجمل وأحسن الصفات فالجلال والجمال والسناء والبهاء في رباه، ولا تكون الحياة والهناء إلا في عشقه، ويتساءل هل سيرى هذا الوطن سالماً معافى من الحروب بحيث يبلغ السماء علواً وشموخاً. ويعول الشاعر في هذه القصيدة على جيل الشباب الذي لن يكل أو يمل لتحقيق الاستقلال والتحرر ولن يقبل هؤلاء الشباب بأن نصبح عبيداً أو نُذَل بل يريدون استعادة مجد هذه الأمة وتاريخها المهيّب، كما يرى أن ثنائية السيف والقلم هي وصفة للنصر والتحرر وقهر العدا والسبيل لجعل راية الأمة ترفرف في الأعلى.

استطاعت هذه القصيدة الدخول إلى قلوب ملايين العرب، فقد امتازت بالسلاسة والوضوح وكانت عاطفة حب الأرض والوطن سمة بارزة فيها، ولم تربط فكرة الوطن بحدود أو جغرافيا فكان الحديث فيها عن الوطن الذي هو أكبر من الجميع، وسبق وأن تم تلحين هذه القصيدة وكانت النشيد الوطني غير الرسمي لفلسطين لسنوات طويلة.

(2) بلاد العرب أوطاني

قصيدة للشاعر والسياسي والموسيقي السوري فخري البارودي (1887-1966) وهو أحد مؤسسي الكتلة الوطنية التي قادت الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار الفرنسي في سورية، كتبها في بدايات القرن الماضي فصارت نشيداً وحدوياً قومياً لكل عربي وما تزال حتى يومنا تُغنى وتُذكر بحتمية الوحدة العربية ووحدة المصير لكل العرب.

في هذه القصيدة تكون كل البلاد والمدن والعواصم العربية ووطننا، من أقصى الشام إلى بغداد ومن نجد إلى اليمن ومن مصر إلى تطوان، فلا تستطيع حواجز الحدود ولا اختلاف الأديان أن يفرقنا لأن لغتنا العربية لغة الضاد تجمعنا وتعود بنا إلى أصولنا العربية القديمة.

وبكثير من التحدي والإصرار على استعادة أرضنا المسلوبة تمضي القصيدة، لكن ذلك يحتاج أيضاً إلى التسلح بالعلم لكي نستطيع تحقيق أهدافنا في الوحدة والتحرر والحفاظ على تقاليدنا وثقافتنا العربية الأصيلة.

بلاد العرب أوطاني من الأناشيد الخالدة لدى الأجيال العربية فهي مرتبطة بطفولة كل إنسان عربي لأنها تنسجم مع فطرتنا كعرب، وهي أزوجة نغنيها دائماً لأننا بأمس الحاجة للوحدة في زمن الضعف والتفرقة والانزهاز، وأكثر ما يرهب أعداء أمتنا هو أن تتجسد كلمات هذه القصيدة على أرض الواقع وتصبح حقيقة.

(3) لا تصالح

لو لم يكتب الشاعر المصري أمل دنقل (1940-1983) إلا هذه القصيدة لكانت كافية بأن تدخله إلى عالم الشعراء العرب المهمين، فالقصيدة من أقوى وأهم ما كتب تحمل بين مضامينها خطاباً قاسياً لكل متواطئ وعميل وتدين فكرة تقبل العدو والتعامل معه بشكل طبيعي والتعافل عن كل ضرر أو أذى سببه هذا العدو.

حملت هذه القصيدة اسم (مقتل كليب - الوصايا العشر) وصدرت في ديوان بعنوان (أقوال جديدة عن حرب البسوس)، وقد اشتهرت بقصيدة (لا تصالح) نظراً لتكرار هذه الجملة في القصيدة عدة مرات، وذاع صيتها وانتشرت بشكل واسع في البلدان العربية لا سيما بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد المشؤومة.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد



قصيدة من عشر وصايا (وصايا كليب لأخيه الزير) كان يبدؤها بـ (لا) الناهية وبالفعل (تصالح) بصيغة التحذير من القيام بهذا الفعل، وفي كل وصية يذكر بالأسباب التي تدفعه إلى طلب عدم القبول بالصلح، بعضها بتساؤلات تجيب على نفسها وبعضها الآخر بإجابات واضحة.

في هذه الوصايا يطلب من أخيه رفض كل العطايا والهبات مقابل الشرف، وعدم مساواة القاتل بالضحية، وعدم نسيان آلام أهله وأبناء جلدته ورفض دعوات الاستسلام، وعدم قبول الحق على دفعات، وعدم التلهي عن أخذ الحق بأشياء الحياة الأخرى ومواصلة القتال حتى لو بقي وحيداً والنهي عن القبول بالصلح مهما كانت الإغراءات.

تبدو القصيدة بشكلها الظاهري كأنها تتعلق بحرب البسوس وقصة الزير سالم، لكن مضمونها سياسي مرتبط بشكل واضح بزيارة السادات للقدس وإعلان معاهدة السلام بين مصر والكيان الصهيوني التي

جلبت العار للأمة ومهدت لدخول كثير من الأنظمة العربية وانخراطها في مشاريع التسوية والاستسلام وإنهاء حالة العداء للكيان الصهيوني، وقد سبق لأمل دنقل أن علق على هذه القصيدة في حوار أجرته معه مجلة (أفاق عربية) في العام 1981 قائلاً:

”حاولت أن أقدم، في هذه المجموعة، حربَ البسوس - التي استمرت أربعين سنة - عن طريق رؤيا معاصرة. وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزاً للمجد العربي القليل، أو للأرض العربية السلبية، التي تريد أن تعود للحياة مرة أخرى، ولا نرى سبيلاً لعودتها - أو بالأحرى لإعادتها - إلا بالدم.. وبالدم وحده“.

الوصايا التي طرحت في هذه القصيدة الملحمية هي عبارة عن وصايا شهيد ضحى بدمه ويُقدم ويُوصي الأجيال القادمة بأن لا تفرط بدمه مهما كانت المبررات معبراً عن أمله بالأجيال القادمة حين قال:

إنه ليس تارك وحده،

لكنه تار جيلٍ فجيلٍ

وغداً

سوف يولد من يلبس الدرع كاملةً،

يوقد النار شاملةً،

يطلب الثأر،

يستولد الحق،

من أضلع المستحيل..

تعتبر هذه القصيدة صرخة ثورية لأحرار العرب ودعوة لعدم الخنوع والاستسلام، وقد تحولت إلى إعلان شعبي عربي لرفض معاهدة كامب ديفيد وما تبعها من معاهدات أخرى ساهمت في تمييع الصراع والتنازل عن الثوابت وبدء مرحلة استتيعاب العدو وقبوله والتهافت على التطبيع معه بكافة الأشكال، وهذا الأمر يتناقض مع فطرة الإنسان العربي الحر الذي لا يقبل أن تضيع حقوقه أو ينتازل عن أرضه ودماء شهدائه مهما كان الثمن.



قصيدة العدد: ابن الشهيد/ بدر شاكر السياب

وتراجع الطوفانُ لملمَ كلَّ أذبالِ المياة
وتكشفتْ قممُ التلالِ، سفوحها، وقرى السهولِ
أكواخها وبيوتها خربٌ تناثر في فلاة
عركتْ نيوبُ الماءِ كلَّ سقوفها ومشى الذبولُ
فيما يحيطُ بهن من شجرِ فاه...
أه على بلدي، عراقي: أثمرَ الدمُ في الحقولِ
حسكاً، وخلفَ جرجه التتري ندباً في ثراه
يا للقبورِ كأن عاليها غدا سفلأ وغازَ إلى الظلامِ
مثلَ البذورِ تنامُ في ظلمِ الثمارِ ولا تفيقُ
يتنفسُ الأحياءُ فيها كلَّ وسوسةِ الرغامِ
حتى يموتوا في دجاها مثلما اختنقَ الغريقُ
جثتُ هنا ودمٌ هناكُ
وفي بيوتِ النملِ مدٌّ من الجفونِ
سقتُ يقرمدهُ النجيعُ، وفي الزوايا
صفرُ العظامِ من الحنايا
ماذا تخلف في العراقِ سوى الكأبةِ والجنونِ؟
أرأيتِ أرملةَ الشهيدِ؟
الزوجُ مدٌّ عليه من تربٍ لحافاً ثم نام...
متمدداً بأشدَّ ما تجدُ العظامِ
من فسحةٍ سكنتِ يداه على الأضالعِ
والعيونِ
تغفو إلى أبدِ الإلهِ، إلى القيامةِ في سلامِ
رمتِ الرداءَ العسكريَ ونشترته على الوصيد...
لثمنه فانتفضَ القماشُ يردُّ بردَ الموتِ
بردَ المظلماتِ من القبورِ
يا فكرها عجباً... تقبتَ بناركَ الأبدِ البعيدِ
يا فكرَ شاعرةٍ يفتشُ عن قوافٍ للقصيدِ
ماذا وجدتِ وراءَ أمسي وعبيرِ يومك من دهورِ؟
"الثأرُ" يصرخُ كلُّ عرقٍ، كلُّ بابِ



لائحة القومي العربي

العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد



في الدار. يا لعمّ تفتّح كالجحيم من الصخور
من كلّ ردين في الرداء من النوافذ والستور
من عينيّ ابنك، يا شهيد، تسائلان بلا جواب
عنك الأسرّة والدروب وتسالان عن المصير
مذّ ألبسته الأمّ ثوبك في معاركك الأثير
ويداه في الردين ضائعتان والصدر الصغير
في صدرك الأبويّ عاصفة تغلف بالسحاب
ورنا إلى المرأة...
أبصرت فيه شخصك في الثياب
”أبني... كان أبوك نبعاً من لهيب، من حديد
سوراً من الدم والرعود
ورماة بالأجل العميل فخرّ –واهاً- كالشهاب
لكنّ لمحا منه شعّ وفضّ أختام الحدود
وأضاء وجه الفوضوي ينزّ بالدم والصدى
وكأنّ في أفق العروبة منه خيطاً من رغب
وتنفس الغد في اليتيم ومدّ في عينيه شمسه،
فراى القبور يهبّ موتاهنّ فوجاً بعد فوج
أكفائها هربت
ولكنّ الذي فيها يضمّ إليه أمسه
ويصيخ: ”يا للثار... يا للثار!“
يصدي كلّ فج
وترنّ أقبية المساجد والمآذن بالنداء
وينام طفلك وهو يحلم بالمقابر والدماء.

إنه الثأر إذن... أكثر ما دعا إليه الشعر العربي منذ الجاهلية، وأكثر ما تحتاجه الأمة اليوم... أدرك السياب ذلك، فأبدع في الدعوة إليه من موقعه كشاعر ومتقف بألفاظ جزلة، وصور شاعرية تلامس الوجدان. تأخذك قصيدة ”ابن الشهيد“ من منشورات البصرة، عام 1962، في تجربة شعرية قل نظيرها في الأدب العربي الحديث عموماً، وضوح الفكرة الفج، الصور الحية، البساطة، والشاعرية النابعة من عمق الألم... يتجاوز السياب نفسه في هذه القصيدة فنراه مختلفاً، إنه سيد الرمزية والتضمين بلا منازع... وهنا اختار أن يكون بحق- سيد الوضوح والرمزية في آن معاً.



العدد رقم (72) صدر في 1 تشرين ثاني عام 2020 للميلاد

رسم للمناضل القومي د. عماد لطفي ملحس (1948-2020) رحمه الله



انتهى العدد